التناظر والمزاوجة بين ق والذاريات والطور والنجم "تطبيق وتحليل"

إعداد

د. ندين مصطفى السليمي

أستاذ مساعد- قسم المواد العامة

تخصص (التفسير وعلوم القرآن)

كلية الآداب والعلوم الإنسانية- جامعة الملك عبد العزيز

بجدة- المملكة العربية السعودية

التناظر والمزاوجة بين ق والذاريات والطور والنجم "تطبيق وتحليل"

ندين مصطفى السليمي
قسم المواد العامة- تخصص (التفسير وعلوم القرآن) - كلية الآداب والعلوم الإنسانية- جامعة الملك عبد العزيز بجدة- المملكة العربية السعودية
البريد الإلكتروني : nalsulaimi@kau.edu.sa

الملخص:
تناول المفسرون التناسب الموضوعي بين سورة الذاريات وما قبلها (سورة ق) وما بعدها (سورة النجم)، ومعظم هذا التناسب يركز على فاتحة وخاتمة تلك السور التي تذكر البعث والجزاء، وبينوا كيف تشرح سورة الذاريات الوعد والوعيد الذي جاء في سورة ق، وتأكيدها البعث الموعود بعد القَسَم بالذاريات وغيرها، أما بالنسبة لاتصال الذاريات بالطور، فذكروا أن سورة الطور تؤكد العذاب بعد القَسَم وتبين النعيم للمتقين يوم القيامة، ثم هكذا في بيان اتصال سورة الطور بالنجم عبر مجيء النجوم في آخر الطور، ثم الافتتاح بالقسَم بالنجم. هذه الطريقة في إيجاد المناسبات بين الفواتح والخواتم تربط بين خاتمة سورة الطور وفاتحة النجم بدون إشارة إلى ارتباط سورة النجم بسورتي ق والذاريات السابقتين لهما في المصحف. فالرازي يربط بين هذه السور لافتتاحها بالقسَم، أما البقاعي فيذكر أوجهًا من الاتصال بين هذه السور الأربعة يتعلق بمقصود كل سورة، في حين أن الفراهي وإصلاحي لا يكتفيان بالتناسب بين الفواتح والخواتم لبيان الاتصال بين السور المتتالية، فالفراهي يجعل هذه السور في مجموعة واحدة لها محور رئيس وهو الرسالة والآخرة، وإصلاحي يجعل هذا التناسب عبر المزاوجة بين عمودي سورتين متتاليتين، فزاوج بين سورتي ق والذاريات، وأشار إلى تشابههما مع سورة الطور المتزاوجة مع سورة النجم. وهذه الأوجه من التناسب والاتصال جديرة بالدراسة لفهم وحدة القرآن وعلة هذا الترتيب في المصحف رغم عدم تتابعها في ترتيب النزول. هذه المقالة تبحث في التناسب الموضوعي واللغوي بين السور الأربعة عبر تطبيق نظريتي التناظر والمزاوجة، وتبيّن أولاً المزاوجة بين كل سورتين متتاليتين، ثم توضح أن هذه السور تكوّن مجموعة متناظرة بشكل معكوس (أ ب/ب' أ')، وتطرح موضوعات التوحيد والوحي في سياقات مختلفة ومتكاملة تتضمن معالجة قضايا الغيب والنبوة، وعذاب الدنيا والبعث والحساب في الآخرة.

الكلمات المفتاحية: التناظر، نظم القرآن، جزء الذاريات، علم المناسبات، وحدة السور، التفسير الموضوعي.

Symmetry and Pairing between Qaf, al-Dhariyat, Tur, and al-Najm: An Analysis and Application

Nadine Mustafa Al-Sulaimi

Department of General Subjects - Specialization (Exegesis and Quran Sciences) - College of Arts and Humanities - King Abdulaziz University in Jeddah - Kingdom of Saudi Arabia

Email: nalsulaimi@kau.edu.sa

Abstract:

Exegetes have examined the thematic correspondence between the end of Q 50 and the beginning of Q 51, the end of Q 51 and the beginning of Q 52, and so on with successive surah 53. However, this method does not illustrate the connection between Q 53 and the previous surahs Q 50-51. Al-Rāzī links between all of them because of the oaths while al-Biqā'ī notices how they are connected through the aims of the surahs. Al-Farāhī and Islaḥī go further by grouping the surahs and linking their themes. Islaḥī adds the notion of surah-pairing and shows how Q 50 and Q 51 are a pair as Q 52 and Q 53 is a pair. All these methods attempt to connect the surahs and they should be examined to comprehend the unity of the Qur'ān and to understand the order of the surahs in the muṣḥaf. This article studies the thematic and rhetorical/linguistic between surahs 50-53 by employing ring-theory and surah-pairing notion. It shows first that the two successive surahs can be paired. Then, it demonstrates that those surahs can be grouped and arranged in a symmetrical shape as AB/'B'A. Those surahs state the themes of monotheism and revelation in different and corresponding contexts explaining matters like the Unseen, prophecy, punishment in this world and resurrection and accountability in the Hereafter.

Keywords: Ring-Theory - Qur'an Coherence - Al-Dhariyat, Surahs Unity - Science Of Corotations - Thematic Exegesis.

مقدمة:

اهتم عدد من المفسرين وعلماء علوم القرآن ببيان التناسب بين السورة وما قبلها وما بعدها، وركزوا على تناسب فاتحة السورة مع خاتمة ما قبلها، فربطوا بين خاتمة سورة ق وفاتحة سورة الذاريات، وبين خاتمة سورة الذاريات وفاتحة سورة الطور، وبين خاتمة سورة الطور وفاتحة سورة النجم وهكذا مع بقية السور من أول المصحف إلى آخره. ولكن هذه المناسبات لا تتناول جميع أجزاء السورة، فمعظمها يقتصر على الفاتحة والخاتمة وفق تسلسل السور في ترتيب المصحف. وهذه السور الأربعة تتشارك الافتتاح بالقَسَم والنزول في العهد المكي، وقد أشار بعض المفسرين لوجود ترابط بين السور المبتدئة بالقَسَم، وبيّنوا التشابه الموضوعي بينها. فهذا فخر الدين محمد بن عمر الرازي (ت ٦٠٦/ ١٢٠٩) يذكر بأن السور التي جاء فيها القَسَم بدون الافتتاح بالحروف المقطعة –مثل سورة الصافات– تتناول تقرير أحد الموضوعات الأساسية التالية: "الوحدانية والرسالة والحشر".[١] ويقول بأن سورة الصافات تعتني ببيان التوحيد في حين أن سور الذاريات والنازعات والمرسلات والعاديات تتناول إثبات الحشر؛ لأن الله أقسم في هذه السور "بالمتحركات".[٢] ويظهر أن الرازي أنشأ الروابط الموضوعية بين السور المفتتحة بالقَسَم، لكن سورة الذاريات لم تأتِ في ترتيب المصحف مع تلك السور، بل تجيء قبلها سورة ق المفتتحة بالحروف المقطعة، ويجيء بعدها سورة الطور المفتتحة بالقَسَم بشيء ثابت وهو الجبل.[٣] وعند تفسيره لسورة النجم المفتتحة بالقَسَم، يبين الرازي اتصالها بغيرها من السور التي افتتحت بالقسَم، وكيف يأتي فيها

١فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين الرازي، التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب (تخريج: عبد الرزاق غالب المهدي، بيروت: دار الكتب العلمية،٣٢ الطبعة الثانية، جزء، ١٤٢٥-٢٠٠٤)، ٢٨: ١٦٧.

٢ المصدر السابق، ٢٨: ١٦٨.

٣المصدر السابق، ٢٨: ٢٠٥.

موضوع النبوة والجدال حولها من المشركين كتتمة لما جاء في سور أخرى جاء فيها القَسَم وتثبت التوحيد والبعث.[١]

وبرهان الدين إبراهيم بن عمر البقاعي (ت ٨٨٥/ ١٤٨٠) جعل التناسب بين السور مبنيًا على مقصودها الرئيس، فيربط بين سور ق والذاريات والطور من حيث الموضوع الأساسي لكل سورة، ثم حين يذكر مقصود سورة النجم فإنه يربطها بمقصود السور قبلها: ق والطور، فهو لا يكتفي بربط السورة بمقصود السورة السابقة فقط.[٢] وأمين أحسن إصلاحي (ت ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧) اعتنى بالتناسب بين السور موضوعيًا، وجعل هذه الفكرة مرتبطة بالمزاوجة بين عمودي سورتين متتاليتين في المصحف.[٣] وجعل زوج سورة الذاريات هو سورة ق،[٤] ولكن معظم الروابط بين السورتين قد تم إنشاؤها من خلال الموضوعات أكثر من النظم والسياقات المتكررة، ثم جعل إصلاحي سورة النجم زوجًا لسورة الطور.[٥]

والتناظر والمزاوجة يقصد بهما: أن الزوج في اللغة القرين والنظير والمثيل، وزوج الشيء وزوجه إليه قَرنَه . وفي التنزيل (كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ) (الدخان: ٥٤)، أي قرنّاهم . وقال الزجاج في قوله تعالى: (احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ) (الصافات: ٢٢)، معناه : ونظرائهم . وتقول : عندي من هذا أزواج أي أمثال . وازدوج الكلام وتزاوج أي أشبه بعضه

١ المصدر السابق، ٢٨: ٢٣٩.

٢إبراهيم بن عمر البقاعي، مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور (تحقيق: عبد السميع محمد أحمد حسنين، السعودية- الرياض: مكتبة المعارف، الطبعة الأولى، ٣ أجزاء، ١٤٠٨-١٩٨٧)، ٣: ٣٥.

3 Amīn Aḥsan Iṣlāḥī, Pondering over the Qur'ān (Tadabbur-e-Qur'ān): Tafsīr of Sūrah al-Fātiḥah and Sūrah al-Baqarah (trans. Mohammad Saleem Kayani, Kuala Lumpur: Islamic Book Trust, 2006), 25-49.

4 Amīn Aḥsan Iṣlāḥī, Tadabbur-i-Qur'ān (51 Surah Dhariyat | Tadabbur-i-Qur'an (tadabbur-i-quran.org), 401. Accessed March 3, 2021.

5 Amīn Aḥsan Iṣlāḥī, Tadabbur-i-Qur'ān (53 Surah Najm | Tadabbur-i-Qur'an (tadabbur-i-quran.org)), ٣٧. Accessed March 3, 2021.

بعضاً في السجع أو الوزن أو كان لإحدى القضيتين تعلق بالأخرى[١]. والمزاوجة والازدواج والتزاوج بمعنى واحد[٢].

لذا تهدف هذه الدراسة إلى دراسة نظم السور الأربعة: ق، الذاريات، الطور، النجم، ثم دراسة العلاقة بين موضوعات هذه السور. وسيتم تطبيق قواعد نظرية التناظر[٣] لبيان نظم السور المختارة على الترتيب. وسيظهر أن هذه السور الأربعة مرتبطة موضوعًا ونظمًا، وأن هذه السور كمجموعة تناقش موضوع الغيب والآيات والأدلة على صدقه ووجوده في سياقات تأكيد حقيقة الوعد بالحشر وما بعده. وهذا البحث مقسم كما يلي:

١- تناسب فواتح وخواتم السور: من ق إلى النجم

٢- تدبر القرآن: المزاوجة بين سورتي ق والذاريات والمزاوجة بين سورتي الطور والنجم

٣- التناظر والمزاوجة بين سورتي ق والذاريات

٤- التناظر والمزاوجة بين سورتي الطور والنجم

٥- التناسب اللغوي والموضوعي بين السور الأربعة

ثم خاتمة فيها أهم النتائج.

(١) تناسب فواتح وخواتم السور: من ق إلى النجم

ترتيب نزول هذه السور الأربعة ليس متسلسلاً، سورة ق تكون الثالثة أو الرابعة والثلاثين نزولاً، أما سورة الذاريات في معظم الروايات فهي السادسة والستون نزولاً، ونزلت سورة الطور الخامسة والسبعين، وسورة النجم تكون

١ ينظر : لسان العرب : ابن منظور : (زوج) ٢/ ٢٩٣.

٢ ينظر :أساس البلاغة : الزمخشري: ١٩٧.

٣المعرفة قواعد نظرية التناظر أو الحلقة يُرجى الإطلاع على:

Michel Cuypers, The Banquet: A Reading of the Fifth Sura of the Qur'an (Miami: Convivium, 2009); Michel Cuypers, The Composition of the Qur'an: Rhetorical Analysis. (Translated by Jerry Ryan. New York: Bloomsbury Academic, 2015).

الثالثة والعشرين من حيث النزول.[١] هذا التفاوت في زمن النزول لم يؤثر في وضع هذه السور بترتيب متتابع في المصحف، ووضعها في المصحف متسلسلة يكون أحد الدوافع لدراسة علة هذا الترتيب والصلات الموضوعية واللغوية بينها. هذا المبحث يتناول المناسبات التي ذكرها المفسرون بين فاتحة السور المختارة وخاتمة ما قبلها،[٢] والمصادر التالية ليست على سبيل الحصر:

- ذكر فخر الدين الرازي أن ختام سورة ق يشير إلى "الحشر" مع بيان أن الكافرين ما زالوا على كفرهم رغم آيات القرآن وحججه، لذا جاء بالقَسَم بالذاريات مؤكدًا اليوم الآخر،[٣] ولا يربط الرازي بين الحجرات وق.[٤] أما بالنسبة لتناسب ختام الذاريات مع فاتحة الطور، فقد ذكر الرازي أن الويل للكافرين في آخر سورة الذاريات قوله تعالى: (فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ) يأتي كذلك في ختام سورة الطور قوله تعالى: (وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ)، ويجدر بالذكر أن الرازي يرى التناسب كذلك بين فاتحة الذاريات والطور بسبب القَسَم والحديث عن الحشر.[٥] ثم يؤكد الرازي التناسب اللفظي وتناسب المعاني بين سورتي الطور والنجم، فاللفظي متعلق بمجيء ذكر النجوم والنجم، وأما من ناحية المعاني فذكر أن الأمر بالتسبيح للنبي صلى الله عليه وسلم في الطور قوله

١جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن (تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ٤ أجزاء، لبنان– بيروت: المكتبة العصرية، ١٤٢٤–٢٠٠٣)، ١: ٢٥–٢٧.

٢من الدراسات التي اعتنت بالتناسب الموضوعي بين سورتي ق والذاريات: "التفسير المأثور لسورتي (ق والذاريات) والوحدة الموضوعية (دراسة وتحليل)" عائشة راضي محمود أبو طير (إشراف: د. غسان هرماس، فلسطين: جامعة الخليل، كلية الدراسات العليا– قسم التفسير، رسالة ماجستير، ١٤٤١–٢٠١٩، http://dspace.hebron.edu/xmlui/handle/123456789/433، الإطلاع ٦ مارس ٢٠٢١)، أبوطير تربط بين سورتي ق والذاريات من خلال القَسَم في فاتحتهما، ولا يتناول بحثها التناسب مع سورة الطور.

٣الرازي، التفسير الكبير، ٢٨: ١٦٦.

٤الذين جعلوا التناسب بين الحجرات وق، جعلوه تناسبًا موضوعيًا فقط، وسورة الحجرات مدنية تناسبها مع ما قبلها (الفتح مدنية) أقرب.

٥المصدرالسابق، ٢٨: ٢٠٥.

تعالى: (وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ) (الآية ٤٩) يرتبط ببيان ادعاءات الكفار حول النبي صلى الله عليه وسلم في سورة النجم قوله تعالى: (مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى) (الآية ٢). ويضيف الرازي في بيان اتصال سورة النجم بما قبلها من سور مفتتحة بالقَسَم أن سورة الذاريات تؤكد الحشر وما بعده من جزاء، وسورة الطور تبين استمرار العذاب وعدم القدرة على دفعه، في حين أن سورة النجم مكملة للموضوعات الأصولية –المذكورة في السور الأخرى– عبر الحديث عن صدق نبوة النبي صلى الله عليه وسلم.[١] ، ويبين الرازي بطريقة غير مباشرة في الربط بين السورتين يبين التشابه بين لفظي "والطور" و "والنجم" من حيث مجيئهما بالمفرد لا الجمع.[٢]

- يصرح إبراهيم بن عمر البقاعي أن مقصود سورة الذاريات هو تأكيد الإنذار الذي جاء في سورة ق، وما يحدث في الدنيا وسيحدث في الآخرة.[٣] ويجعل البقاعي مقصود سورة الطور هو تأكيد حلول عذاب الآخرة الموعود به في الذاريات، ودلّت على حقيقته سورة ق.[٤] وبهذا يتبين أن البقاعي يؤكد ارتباط سورة الطور بسورتي ق والذاريات. ثم البقاعي يربط هذه السور بمقصود سورة النجم، فيذكر أن هذه الأخيرة تحث على متابعة النبي صلى الله عليه وسلم الذي جاء منذرًا بالبعث في سورة ق، ثم جاءت سورة الذاريات مصدقة لحدوثه، والطور تؤكد هذا الوقوع.[٥]
- جلال الدين السيوطي (ت ٩١١/١٥٠٥) لا يربط بين سورتي ق والحجرات، بل يضع سورتي ق والذاريات معًا، ويذكر التشابه بين خاتمة ق وفاتحة الذاريات، ويعلل هذا التشابه بالتماثل بين سورتي خاتمة سورة الإنسان عن الوعيد للظالمين، ومجيء السورة التالية (المرسلات) بالقَسَم. ويذكر

١المصدرالسابق، ٢٨: ٢٣٩.
٢المصدر السابق، ٢٨: ٢٤١.
٣البقاعي، مصاعد النظر، ٣: ٢٤.
٤المصدر السابق، ٣: ٢٨.
٥المصدر السابق، ٣: ٣٥.

السيوطي التشابه بين الذاريات والطور في فاتحتي وخاتمتي السورتين، والحديث فيهما عن المؤمنين والكافرين.[١] ثم يبين السيوطي الاتصال المتين بين سورتي الطور والنجم من عدة وجوه: ذكر النجوم في قوله تعالى: (وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ)(الطور: ٤٩، وقوله: (وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى) النجم: ١، ومجيء الحديث عن الذرية المؤمنة في الطور قوله تعالى: (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ) (الآية ٢١) في حين أن سورة النجم تذكر "ذرية اليهود" قوله تعالى: (الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى)(النجم: ٣٢)، وأخيرًا الحديث عن المؤمنين في سورة الطور قوله تعالى: (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ) (الآية ٢١) وعدم نقص الآباء ومنح بنيهم كما منح آباءهم وانتفاعهم بأعمال هؤلاء الآباء، في مقابل الحديث عن الكافرين وذريتهم في سورة النجم قوله تعالى: (وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى) (الآية ٣٩)، وجعل السيوطي ذلك من باب "التضاد".[٢]

- ذكر شهاب الدين الألوسي (ت ١٢٧٠/ ١٨٤٥) أن سورة ق والذاريات ترتبطان بذكر الحشر في آخر ق، وذكر صدق هذا القول بعد القَسَم في

١جلال الدين السيوطي، تناسق الدرر في تناسب السور (تحقيق: عبد الله محمد الدرويش، لبنان– بيروت: عالم الكتب، الطبعة الثانية، ١٤٠٨–١٩٨٧)، ١٢٣– ١٢٤.

٢المصدر السابق، ١٢٥–١٢٦. والمراد بمصطلح الأضداد) الضد) في اللغة يقع على معنيين متضادين، والمراد بمصطلح (الأضداد) الألفاظ التي توقعها العرب على المعاني المتضادة، فيكون اللفظ الواحد منها مؤدياً لمعنيين مختلفين بدلالة السياق والسباق. وبعبارة أخرى: استعمال كلمة للدلالة على معنى معين، واستعمالها في الوقت نفسه للدلالة على عكس هذا المعنى. وكلمة (الضد) نفسها تدل على (المخالف)، وتدل على (النظير)، ومن أمثلة الألفاظ المتضادة قولهم: (جَلَل) للكبير والصغير، وللعظيم واليسير .و(الجون) للأسود والأبيض. و(القوي) للقوي والضعيف. و(الرجاء) للرغبة والخوف. http://iswy.co/e2blft

فاتحة الذاريات، ويضيف أن الأمم الهالكة المذكورة في ق، يجيء تفصيل هلاكها في الذاريات، وبهذا القول يقول وهبة الزحيلي (ت ١٤٣٦/ ٢٠١٥).[١] أما بالنسبة لتناسب خاتمة سورة الذاريات مع مفتتح سورة الطور فإن الألوسي لا يضيف على ما ذكره السيوطي.[٢] وفي مناسبة خاتمة الطور لفاتحة النجم يضيف الألوسي على كلام السيوطي أن سورة النجم ترد على مطاعن الكافرين في النبي صلى الله عليه وسلم والتي ذُكرت في سورة الطور (قولهم شاعر وكاهن ومجنون).[٣]

- عبد الحميد الفراهي (ت ١٣٤٩هـ/١٩٣٠م) يجعل الرابط بين هذه السور هو مجيئها في المجموعة التي تبدأ من سورة ق إلى سورة الواقعة، وعمود هذه السور هو الوحي الذي نزل مؤكدًا اليوم الآخر وما يتعلق به في سياقات مختلفة. وفي تفسيره لسورة الذاريات، يفصل الفراهي كيف ترتبط سورة ق بها، ويستشهد بالآيات من بداية السورتين وخاتمتها لبيان ذلك الاتصال الموضوعي حول البعث والنبوة. بالنسبة للفراهي سورة ق تثبت البعث، وسورة الذاريات تثبت الجزاء، ثم تفصل سورة الذاريات قصص الهالكين المذكورين في سورة ق، وتبدأ بذكر "الدينونة" (الدَّيْن وإيفاء الحقوق) والوعد، وهذا الوعد في رأي الفراهي هو وعد "الرحمة والنقمة"، لأن كلمة "الدين" تُشير إلى الجزاء وإعطاء الحقوق، في حين أن السورة تؤكد أن في السماء الوعد بالرزق ويشمل أيضًا الوعد بالعذاب قوله تعالى: (وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ) (الآية ٢٢)؛ لأن لفظ "حديث" في قصة إبراهيم[٤] في سورة

١ شهاب الدين محمود الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (تحقيق: أبو عبد الرحمن فؤاد بن سراج عبد الغفار، مصر – القاهرة: المكتبة التوقيفية، 14 مجلد، ت.د.)، ١٣: ٢٧٩.
وبمثل قول الألوسي قال وهبة الزحيلي (انظر: وهبة الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج (سوريا– دمشق: دار الفكر، الطبعة الثانية، ١٧ مجلد، ١٤٢٤–٢٠٠٣)، ١٤: ٥، ٩).

١٢الألوسي، روح المعاني، ١٣: ٣١٢.

١٣المصدر السابق، ١٣: ٣٣٦.

١٤"هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ" [الذاريات: ٢٤].

الذاريات مبشر بالنجاة لبعضهم والعذاب للبعض الآخر. ويلفت الفراهي النظر إلى أن قصص الهالكين في سورة الذاريات تذكر كذلك النجاة لعباد الله، وهذا هو موضوع الرحمة المبطن في آيات السورة، خاتمًا السورة بذكر قدرة الله على الخلق والرزق، وبيان الغاية من العبادة؛ لتظهر العلاقة بين التوحيد والدينونة والجزاء في الآخرة.[١]

من خلال ما سبق يُلاحظ وجود تكرار في الربط بين نهاية سورة ق وبداية الذاريات، وخاتمة سورة الذاريات وفاتحة الطور. فالبقاعي من بين هؤلاء المفسرين يلفت النظر إلى وجود تناسب بين السور الأربعة، أما السيوطي فقد أشار إلى التناسب بين هذه السور ولا يذكر التناسب بين سورتي الحجرات وق كما فعل غيره من المفسرين. والفراهي وفقًا لتقسيمه سور القرآن إلى مجموعات، يجعل الارتباط بين هذه السور مبني على عمود هذه المجموعة المكونة من سبع سور متسلسلة تؤكد النبوة في سياق الحديث عن اليوم الآخر. ووهبة الزحيلي يضيف وجهًا آخر من التشابه بين سورتي الذاريات والطور مؤكدًا تناسب السورتين من حيث الموضوعات (البعث والنبوة وأحوال الكافرين)، ومن حيث التشابه اللفظي في الآيات عن المتقين (الذاريات: ١٥، الطور: ١٧) والآيات عن الكافرين (الذاريات: ٦٠، الطور: ٤٢). ويضيف أن السورتين تذكرأن الآيات الكونية المسخرة لنفع البشر ومصلحتهم الدنيوية والآخروية، فالذاريات تذكر الرياح ومنافعها، والطور تذكر الجبل الذي نزلت عنده التوراة الهادية لقوم موسى عليه السلام إلى ما فيه نفعهم وصلاحهم. ثم يشير الزحيلي إلى التشابه في الأوامر للنبي صلى الله عليه وسلم في آخر السورتين بالإعراض عن الكفار (الذاريات: ٥٤، الطور ٤٥)، والأمر بالتذكير

١عبد الحميد الفراهي، تفسير نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان (الهند–اعظم كره يو بي : الدائرة الحميدية مدرسة الإصلاح، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨)، ١١٩–١٢٢. تجدر الإشارة إلى أن هذا التفسير يحتوي على سورة الذاريات، ولا توجد بقية السورة المختارة في هذه المقالة.

(الذاريات: ٥٥، الطور: ٢٩).[١] بالإضافة إلى ذلك يربط الزحيلي بين سورتي ص وق.[٢] وهذا الربط موضوعي، ولكن مجيء سورة ق قبل سورة الذاريات يجعل الارتباط بين هاتين الأخيرتين أقوى من ناحية النظم والموضوعات، ويبين بعضًا من حكمة وضع تلك السور في المصحف بالتتالي.

(٢) تدبر القرآن: المزاوجة بين سورتي ق والذاريات والمزاوجة بين سورتي الطور والنجم:

إصلاحي في كتابه "تدبر القرآن" لا يكتفي بذكر التناسب بين فاتحة وخاتمة السور، بل يجعلها كأزواج متناسبة في الموضوعات أو ما يسميه عمود السورة، ويجعل السور في مجموعات مرتبطة بمحور المجموعة الرئيس. وهذا المبحث يهدف إلى بيان جهود إصلاحي في ربط هذه السور، وكيف يؤثر هذا الترابط على المعاني واتصالها. فيذكر أن هذه السور (من ق إلى النجم) تكون من ضمن المجموعة السادسة من سور القرآن، ويجعل الموضوع الرئيس لهذه السور (عددها سبعة عشرسورة من ق إلى التحريم) هو البعث، جاعلاً السور المكية فيها تتناول إثبات البعث، في حين أن السور المدنية تذكر مما يقتضيه الإيمان بالبعث من الطاعة لله والرسول عليه السلام.[٣] ويجعل إصلاحي زوج سورة ق هو سورة الذاريات، ويعلل هذه المزاوجة بأن ما جاء في سورة ق من تساؤل الكافرين حول البعث وحدوثه، وإثبات إعادة خلق الإنسان، يستمر في سورة الذاريات من خلال توعدهم بالعذاب، وبيان نعيم أهل الإيمان، ولكن كثرة الأدلة لم تنفع مع قريش، لذا جاء بالقَسَم كدليل أخير على وقوع اليوم الآخر. وجعل إصلاحي عمود السورة في الآيتين "إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ، وَإِنَّ ٱلدِّينَ

١وهبة الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج (سوريا- دمشق: دار الفكر، الطبعة الثانية، ١٧ مجلد، ١٤٢٤-٢٠٠٣)، ١٤: ٥٥-٥٦. تجدر الإشارة إلى أن الرازي قد ذكر هذا التناسب بين سورتي ق وص عند تفسيره لسورة ق. (انظر: الرازي، التفسير الكبير، ٢٨: ١٢٥).

٢المصدر السابق، ١٣: ٦٠٨-٦٠٩.

3 Amīn Aḥsan Iṣlāḥī, Tadabbur-i-Qur'ān (50 Surah Qaf | Tadabbur-i-Qur'an (tadabbur-i-quran.org), Accessed March 3, 2021.

لَوَٰقِعٌ" [الذاريات: ٥-٦].[1] بالإضافة إلى ذلك يبين إصلاحي التشابه بين أسلوب سورتي ق والذاريات في الحديث عن حال المشركين، واختلافهم في اعتقادهم حول اليوم الآخر "بَلْ كَذَّبُواْ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَهُمْ فِيٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ" [ق: ٥] و"إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ" [الذاريات: ٨].[2]

المزاوجة بين السور لم تمنع إصلاحي من ربط عدة سور متتالية، فعنده أن سورة الذاريات تذكر الآيات في الأرض قوله تعالى: (وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ) (الآية ٢٠) والرزق والوعد بالعذاب في السماء (وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ) (الآية ٢٢)، وفي سورة الطور يأتي ذكر آيات من السماء والأرض لبيان وعد الله بالجزاء، فالوعد موضح في السورتين ولكن بأساليب مختلفة، هذا التشابه بين السورتين في الأسلوب جعل إصلاحي يرجح أن "البيت" رمز للأرض، ولفظ "المعمور" يشير إلى ما فيها من خيرات مُحاسب عليها الإنسان، و"المعمور" كذلك يُشير إلى قوة الله وقدرته وحكمته ورزقه.[3] ويمضي إصلاحي في جعل "السقف المرفوع" إشارة إلى السماء التي يجيء ذكرها بتكرار في سورة الذاريات مع الرياح وكونهما جنود الله في إهلاك الأمم السابقة، مع جعله "السقف" إشارة إلى رحمة الله ونعمه التي تغمر عباده من فوقهم، وإلى قوته وعظمته من خلف السقف المرفوع، واتصاف الله بذلك -كما يقول إصلاحي- يتضمن الدلالات على قدرته على الثواب والعقاب في الآخرة.[4] والقسَم بالبحر المسجور عودة إلى بيان الآيات في الأرض، وقوة الله وقدرته، ويُشير إصلاحي إلى أنها إشارة إلى الطوفان في قصة نوح عليه السلام وغرق فرعون، وكأنه يربط بطريق غير مباشر بين هلاك الأمم في

1 Iṣlāḥī, Tadabbur-e-Qur'ān (51 Surah Dhariyat), 401.

2 Ibid., 406.

3 Amīn Aḥsan Iṣlāḥī, Tadabbur-i-Qur'ān (52 Surah Tur | Tadabbur-i-Qur'an (tadabbur-i-quran.org), 15-16. Accessed March 3, 2021.

4 Ibid., 16.

الذاريات والبحر المسجور في الطور.[1] ويستمر إصلاحي في ربط ق والذاريات بالطور، فيذكر أن هذه الأخيرة تتناول تفصيل موضوع العذاب وتهديد قريش لعدم إيمانها بما سبق تأكيده في السورتين السابقتين، مشيرًا إلى ما تؤكده الآيات ٧–٨ من الطور، واتصالها بالآيتين ٥–٦ من الذاريات.[2]

وعنده تكون سورة الطور زوجًا لسورة النجم التي تُعيد تأكيد الثواب والعقاب في سياق يفند مزاعم المشركين في الآلهة الشفعاء واعتمادهم عليها، ثم يذكر إصلاحي أن خاتمة الطور بالنجوم تجعل ارتباطها بسورة النجم أوثق، مبيّنًا أنه يوجد اتصال كثير في القرآن ويشمل السور السابقة واتصال خاتمة السورة بفاتحة التي تليها.[3] فالآية: "أَمْ لَهُ ٱلْبَنَٰتُ وَلَكُمُ ٱلْبَنُونَ " [الطور:٣٩] تأتي مفصلة في سورة النجم (الآيات ١٩–٢٣)،[4] كذلك موضوع الغيب متكرر في السورتين (الطور: ٤١، النجم: ٣٥).[5] ويختم تفسيره لسورة الطور بذكر التشابه اللفظي بين خاتمتها "وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَاۖ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ، وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَٰرَ ٱلنُّجُومِ" [الطور: ٤٨-٤٩] وخاتمة سورة ق: "فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ، وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَٰرَ ٱلسُّجُودِ" [ق: ٣٩–٤٠]، فهذه الملاحظة جديرة بالوقوف عندها والاهتمام بارتباط سورة الطور بما حولها من سور.[6] ثم تأتي سورة النجم في نقض الآلهة الكاذبة التي اتخذها مشركو العرب من دون الله، ويوضّح إصلاحي بأن هذه التفاصيل في سورة النجم لبيان عدم قدرة المشركين على النجاة من عذاب الله باستمساكهم بالآلهة، هذا العذاب متوعد به في سورة

1 Ibid., ١٦–17.

2 Ibid., 11, 17.

3 Iṣlāḥī, Tadabbur-i-Qur'ān (53 Surah Najm), ٣٧.

4 Iṣlāḥī, Tadabbur-i-Qur'ān (52 Surah Tur), ٣٠.

5 Ibid., ٣1.

6 Ibid., ٣3.

الطور والسور السابقة، وكما ذكرالسابقون يبين إصلاحي التناسب بين ذكر النجوم في خاتمة الطور، وابتداء السورة التالية بالقَسَم بالنجم.[١]

من خلال ما سبق تظهر منهجية إصلاحي في بيان وحدة واتصال هذه السور، وكيف يجعلها متزاوجة من حيث الموضوعات، فتاتي السورة شارحة أو مفصلة لما جاء في السورة قبلها، فهذه المزاوجة كما يظهر أعلاه أثّرت على تفسير إصلاحي وترجيحاته للمعاني وحتى بيان تناسب الآيات. ما قام به إصلاحي وغيره من المفسرين من ربط هذه السور موضوعيًا وفي أحيان عديدة لفظيًا، جدير بالاهتمام والنظر في ترابط هذه السور من ناحية النظم كذلك، وما ينتج من معانٍ من خلال قراءة هذه السور كمجموعة مترابطة نظمًا وموضوعًا.

وفي المباحث التالية يتضح الاتصال والمزاوجة بين سورتي ق والذاريات ثم الطور والنجم من خلال التقسيم التناظري لهذه السور، مع بيان الروابط اللغوية والموضوعية بينها، متبوعًا ببيان تناسب هذه السور كمجموعة. وقبل إدراج التقسيم التناظري لكل سورة وتزاوجها، تجدر الإشارة إلى أن هذه السور الأربعة على الأرجح أن كل آياتها مكية،[٢] وموضوعاتها الرئيسة كما يذكر المفسرون تتناول التوحيد وإثبات البعث والنبوة. وجمال الآيات هذه السور

1 Iṣlāḥī, Tadabbur-i-Qur'ān (53 Surah Najm), ٣٧.

٢ذكر شمس الدين محمد بن أحمد القرطبي (ت ١٢١٤/٦٧١) والسيوطي أن الآية ٣٨ (وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ) من سورة ق مدنية نزلت ردًا على اليهود، وذهب محمد بن يوسف أبو حيان الأندلسي (ت ١٣٤٤/٧٤٥) وعبد الحق بن غالب بن عطية (ت ٥٤٦/ ١١٥١) إلى أن جميع آيات سورة ق مكية بالإجماع. (انظر: محمد بن يوسف أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط (تحقيق وتعليق: عادل عبد الموجود وعلي معوض، بمشاركة: زكريا النوتي وأحمد الجمل، بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية (٨ مجلدات، ١٤٢٨-٢٠٠٨)، ٨: ٤١٢٠؛ محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير (تونس: دار سحنون للنشر والتوزيع، ١٣ مجلد، ت. د.)، ١٠: ٢٦/ ٢٧٤). أبوطير ترجح ضعف سند الرواية وتجعل جميع آيات سورة ق نزلت في مكة. (انظر: "التفسير المأثور لسورتي (ق والذاريات) والوحدة الموضوعية (دراسة وتحليل)"، ١٥. والتناسب عبر التناظر والمزاوجة يرجح كونها مكية كلها.

لا ينحصر في كونها منتظمة متناسقة في السورة الواحدة، بل يظهر كذلك في فواصلها وأساليبها وسياقاتها وموضوعاتها المتصلة المتتمة لبعضها البعض.

(٣) التناظر والمزاوجة بين سورتي ق والذاريات

وردت عدة أحاديث صحيحة في أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقرأ سورة ق حين كان يخطب في الناس، وكان يصلي بها في صلاة الصبح، وكان يقرؤها في الأعياد،[١] أما سورة الذاريات فلم يرد بخصوص قرائتها أي حديث، لكنها تسمى عند محمد بن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦/ ٨٧٠) وغيره بسورة "والذاريات"، ولم يأتِ هذا اللفظ في موضع آخر في القرآن.[٢] لوهلة قد لا يبدو أن الاتصال بين السورتين أعمق من تناسب الخاتمة مع الفاتحة كما ذكر السابقون، لذا سيتم تقسيم السورتين تناظريًا، وبيان ترابط أجزاء السورة الواحدة، ثم أوجه الارتباط بين موضوعات السورتين وألفاظهما.

تقسيم سورة ق تناظريًا:[٣]

(أ) (الآيات ١-١٦) القرآن المجيد تبصرة وذكرى: تكذيب قريش والأمم السابقة، المخلوقات وإثبات البعث.
(ب) (الآيات ١٧-٢٩) العذاب الشديد بعد البعث للمكذبين
(أ') (الآيات ٣٠-٤٥) التذكير بالقرآن: عالم الغيب، خلق السماء والأرض وحدوث البعث

شكل (١): التقسيم التناظري لسورة ق

بالنظر إلى الشكل (١) يتبين أن أطراف السورة (أ) و(أ') تتناول الموضوعات نفسها، الجزء (أ) يبدأ بذكر القرآن المجيد والرسول المنذر، وفي

١ابن عاشور، التحرير والتنوير، ١٠: ٢٦/ ٢٧٣.

٢ المصدر السابق، ١٠: ٢٦/ ٣٣٥.

٣قام جورج آرتشر بتقسيم السورة وفق قواعد نظرية التناظر، وقد تمت الاستعانة بتقسيمه بدون ذكر تفاصيل كل قسم كما فعل آرتشر.

George Archer, A Place Between Two Places: The Qur'ānic Barzakh (Piscataway, NJ: Gorgias Press, 2017), 217.

هذا السياق يأتي تعجب الكافرين من الحشر وتكذيبهم بالبعث، وتوعدهم بأنه لن ينقص من أجسادهم شيئًا، وذلك في كتاب حفيظ دلالة على علم الله وإحاطته،[١] لذلك يوجه أنظارهم إلى السماء فوقهم وإتقان صنعها، والأرض كيف مدها وألقى فيها الرواسي، مُخبرًا إياهم أن كل ذلك تبصرة وذكرى لكل عبد منيب (تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ) (الآية ٨)، ثم يعود لذكر بقية الآيات كنزول المطر من السماء، وإنبات النبات والحب، والنخل الباسقات وغيرها، رزقًا للعباد وإحياء للبلدة[٢] الميت ليبين لهم مثالاً على البعث كما يوم الخروج، ولا يكتفي الجزء بذلك بل يذكرهم بتكذيب من قبلهم بالرسل وتحقق الوعيد على هؤلاء الهالكين، وينتهي الجزء بذكر أن الله لم يعجزه الخلق أول مرة بل هم في لبس من إعادة الخلق كما وصفهم في البداية بأنهم في أمر مريج،[٣] خاتمًا بحقيقة خلق الإنسان وعلم الله لدواخله ووسوسة نفسه وقربه الشديد منه، كل ذلك تهيئة لموضوع الحساب في الجزء (ب) كما سيأتي. في الجزء النظير (أ') تُعاد موضوعات الجزء (أ) بحديث عن الجزاء للفريقين، وتفاصيل الوعد للأواب الحفيظ الذي خشي الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب، هذا السياق يعيد التذكير بالهالكين سابقًا متوسطًا بموضوع خلق الله للسموات والأرض في ستة أيام وما مسه من لغوب (وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ) (الآية ٣٨)، لينتهي الجزء بذكر الرسول عليه السلام المذكور أول السورة، وأمره بالصبر على أقوال الكافرين، لأنه حين تحدث الصيحة يكون يوم الخروج والمصير إلى الله الذي يحيى ويميت، الله يعلم ما يقولون وما الرسول عليهم بجبار إنما هو منذر كما جاء أول السورة، مأمور بالتذكير بالقرآن لمن يخاف وعيد.

١ابن عاشور، التحرير والتنوير، ١٠: ٢٦/ ٢٨٣.

٢"القطعة من الأرض" (انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ١٠: ٢٦/ ٢٩٤).

٣"مريج" و"لبس" كلها الفاظ تحمل معاني الاضطراب والخلط (انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ١٠: ٢٦/ ٢٨٥، ٢٩٨).

وسط السورة (ب) يركز على مشهد الموت وسكراته والملائكة عن اليمين والشمال تحصي الأعمال والأقوال ثم البعث، وهذا المشهد متناسب مع خاتمة الجزء (أ) حول خلق الإنسان وإحاطة الله بوساوسه الداخلية، ومتماشٍ مع بداية الجزء (أ') الذي يذكر الجزاء (النار والجنة)، لتكتمل أركان الحساب بعلم الله وإحاطته بكل شيء وحصول الجزاء على الأعمال المحصاة عليهم.[1] وهذا الجزء يستمر في تأكيد موضوع البعث عبر ذكر نفخ الصور وحضور كل النفوس إلى مساقة إلى المحشر، موبخًا الكافرين على غفلتهم وتكذيبهم بالوعد حتى رأوه أمامهم بأبصارهم وكُشِف الغطاء عن الغيب (لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ) (الآية ٢٢)، فيأمر الله الملائكة بإلقاء الكافرين في العذاب لأنهم مع شركهم منعوا الخير وسببوا للناس الريب في دعوة النبي صلى الله عليه وسلم،[2] ثم يصور الجزء محاولات الكافر لإلقاء اللوم على القرين في طغيانه، خاتمًا بأن الله ليس بظلام للعبيد منهيًا الخصام مع القرين لأنه لا فائدة بعد وقوع الوعد. هكذا تتعاضد أجزاء سورة ق مقدمة حلقات ثلاثة من الإنذار والتذكير والوعيد، وحتى مع هذا الوعيد في السورة، فإن في السورة من الرحمات والرزق للعباد ونعيم العبد المنيب الذي كانت تلك المخلوقات في الدنيا له مجال تبصّر وتذكّر أن الله إليه المصير. وفيما يلي نورد تقسيم سورة الذاريات، وكيف تتناسب أجزاء السورة قبل دراسة تزاوجها وتناسبها مع سور ق.

تقسيم سورة الذاريات تناظريًا:

(أ) (الآيات ١-٢٣) تحقق وقوع يوم الدين: القَسَم بالرياح والسحاب والسماء

(ب) (الآيات ٢٤-٤٦) قصص الأنبياء والأمم الهالكة في الدنيا

(أ') (الآيات ٤٧-٦٠) الذكرى تنفع المؤمنين: خلق السماء والأرض والجن والإنس، الله الرازق ذو القوة المتين

الشكل (٢): التقسيم التناظري لسورة الذاريات

١ابن عاشور، التحرير والتنوير، ١٠: ٢٦/ ٢٩٩.

٢المصدر السابق، ١٠: ٢٦/ ٣١٢.

يمكن تقسيم آيات سورة الذاريات إلى ثلاثة أجزاء كما في الشكل (٢)، ويظهر في الجزء (أ) القَسَم بالرياح وأنواعها[١] ثم السماء، ثم التأكيد على وقوع يوم الدين وبيان حال الفريقين في الدنيا والآخرة، وجزاء الخراصين الساهين،[٢] وصفات المتقين وجزائهم جنات وعيون، السماء والأرض مليئة بالآيات للموقنين ولكن الكافرين في قول مختلف حول البعث. في المقابل يأتي الجزء (أ') مبينًا خلق السماء والأرض والناس في سياق مليء بالتوحيد ودعوة الناس للفرار إلى الله وحده وبيان الغاية من خلق الجن والإنس، مختتمًا بالوعيد للظالمين الذي اتهموا النبي صلى الله عليه وسلم بأنه ساحر ومجنون ورفضوا الذكرى لأنه لا ينتفع بها إلا المؤمنون. وسط السورة (ب) محوره الرئيس هو بيان هلاك المكذبين من أمم الأنبياء السابقين ونجاة المؤمنين، مع بيان أن هذا الهلاك لا ينتهي في الدنيا، بل يحصل العذاب الأليم للكافرين يوم القيامة. وجميع القصص المذكورة هي قصص الهالكين إلا قصة إبراهيم عليه السلام تختلف عن بقية القصص في السورة، فقصة إبراهيم قصة بشرى بالولد، على عكس ما حلّ من عذاب للأقوام المذكورين، هذا العذاب جاء مشارًا إليه في سورة ق، والآن تفصله الذاريات.

انجيليكا نيورت، تناولت بنية السور المكية دارسة العلاقة بين السور المبتدئة بالقَسَم، وكيف يذكر القرآن قصص الأنبياء عليهم السلام في هذه الفترة لأغراض نمو المجتمع المسلم. [٣] وتعطي تحليلاً للموصوفات المقسوم بها في السورة، وتربطها بفكرة النزول من السماء، ومن ثم تأتي الآية السادسة (وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ) تُخبر عن أمر مختلف وهو حلول يوم الدين عبر لفظ "لواقع"، وفيه دلالة على فكرة النزول أيضًا. والسحاب المحمل بالمطر من السماء في

١قيل: "والجاريات" السفن، "والمقسمات" هي الملائكة. (انظر: الرازي، التفسير الكبير، ٢٨: ١٦٨).

٢ متناسب مع الغفلة المذكورة في سورة ق.

3 Angelika Neuwirth. Scripture, Poetry and the Making of a Community: Reading the Qur'an as a Literary Text (London: Oxford Press, 2014), 27, 30.

بداية السورة تربطه نيورت بنزول العذاب من السماء على الأقوام المكذبة ونزول المطر على قوم نوح عليه السلام، نيورت تشير إلى فكرة النزول في آخر السورة عبر ذكر خلق السماء ونزول الرزق من السماء.[١] نيورت لا تربط بين ذكر إبراهيم عليه السلام والبشرى بالابن وبين بقية أجزاء السورة، ولكنها تجعل قصة إبراهيم عليه السلام هنا من أجل الانتقال من صورة إبراهيم في الكتب المقدسة الموعود بالذرية إلى إبراهيم عليه السلام كمثال على التوحيد.[٢] جمال معاني السورة يتلخص في خاتمتها، في الذكرى للمؤمنين، السورة تقول لهم من البداية إن الرياح وما تذروه وتحمله، وجريانها وقوتها وأمرها هو ما أمكنها الله ذو القوة المتين عليه، الرياح وما تأتي به من مطر ورزق هو من الله الرزاق، وهو يطعمهم وهو غني عنهم، السماء تتكرر في الطرفين (أ و أ')، والسماء إشارة إلى وجود الله فيها، وإلى أن الرزق يأتي من الله الذي بنى السماء ووسعها، والوحي من السماء إلى الرسل، كما البشارة لإبراهيم عليه السلام بالولد جاءت من السماء مع الملائكة إلى الأرض،[٣] هذه السماء والأرض آيات للموقنين، الذين ينتفعون بالذكرى، على عكس المجرمين الفاسقين، كان العذاب يأتيهم من السماء لردهم الآيات المختلفة فيها (مثل: قدوم الرياح، نزول الوحي)، وكان من الأرض لأنهم أعرضوا عن الآيات الواضحات أمامهم، وموضوع التوحيد وما يستلزمه من الإيمان بالبعث والجزاء يتجلى في الفاتحة والخاتمة، والغاية من الخلق واضحة، والعودة إلى الخالق مؤكدة.

١ Neuwirth. Scripture, Poetry and the Making of a Community, 109-110.

٢ Ibid., 30.

٣يذكر ابن عاشور بأن مناسبة الابتداء بقصة إبراهيم عليه السلام وتبشيره بالولد بعد العقم، يشبه البعث بعد الموت. (انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ١٠: ٢٦/ ٣٥٧).

والجدول التالي يبين الروابط اللغوية والموضوعية بين آيات سورة ق وسورة الذاريات، هذه الروابط تم الإشارة إليها عبر محددات متشابهة، وسيتم الحديث عن بعضها لبيان التزاوج والتناسب بين السورتين وتلاحم الأفكار بينهما:

سورة ق	سورة الذاريات
(أ) قٓۚ **وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ** ١ بَلۡ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم **مُّنذِرٞ** مِّنۡهُمۡ فَقَالَ **ٱلۡكَٰفِرُونَ** هَٰذَا شَيۡءٌ عَجِيبٌ ٢ أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗاۖ ذَٰلِكَ رَجۡعُۢ بَعِيدٞ ٣ قَدۡ عَلِمۡنَا مَا تَنقُصُ ٱلۡأَرۡضُ مِنۡهُمۡۖ وَعِندَنَا **كِتَٰبٌ حَفِيظُۢ** ٤ بَلۡ كَذَّبُواْ بِٱلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمۡ فَهُمۡ فِيٓ أَمۡرٖ مَّرِيجٍ ٥ أَفَلَمۡ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوۡقَهُمۡ كَيۡفَ بَنَيۡنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٖ ٦ وَٱلۡأَرۡضَ مَدَدۡنَٰهَا وَأَلۡقَيۡنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجُۢ بَهِيجٖ ٧ **تَبۡصِرَةٗ وَذِكۡرَىٰ لِكُلِّ عَبۡدٖ مُّنِيبٖ** ٨ وَنَزَّلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ مُّبَٰرَكٗا فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ **جَنَّٰتٖ وَحَبَّ ٱلۡحَصِيدِ** ٩ وَٱلنَّخۡلَ بَاسِقَٰتٖ لَّهَا طَلۡعٞ نَّضِيدٞ ١٠ رِّزۡقٗا لِّلۡعِبَادِۖ وَأَحۡيَيۡنَا بِهِۦ بَلۡدَةٗ مَّيۡتٗاۚ كَذَٰلِكَ ٱلۡخُرُوجُ ١١ **كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ وَأَصۡحَٰبُ ٱلرَّسِّ وَثَمُودُ ١٢ وَعَادٞ وَفِرۡعَوۡنُ وَإِخۡوَٰنُ لُوطٖ ١٣ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡأَيۡكَةِ وَقَوۡمُ تُبَّعٖۚ كُلّٞ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ** ١٤ أَفَعَيِينَا بِٱلۡخَلۡقِ ٱلۡأَوَّلِۚ بَلۡ هُمۡ فِي لَبۡسٖ مِّنۡ خَلۡقٖ جَدِيدٖ ١٥ وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ وَنَعۡلَمُ مَا تُوَسۡوِسُ بِهِۦ نَفۡسُهُۥۖ وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنۡ حَبۡلِ ٱلۡوَرِيدِ ١٦	(أ) وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرۡوٗا ١ فَٱلۡحَٰمِلَٰتِ وِقۡرٗا ٢ فَٱلۡجَٰرِيَٰتِ يُسۡرٗا ٣ فَٱلۡمُقَسِّمَٰتِ أَمۡرًا ٤ إِنَّمَا **تُوعَدُونَ** لَصَادِقٞ ٥ وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَٰقِعٞ ٦ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلۡحُبُكِ ٧ إِنَّكُمۡ لَفِي قَوۡلٖ مُّخۡتَلِفٖ ٨ يُؤۡفَكُ عَنۡهُ مَنۡ أُفِكَ ٩ قُتِلَ ٱلۡخَرَّٰصُونَ ١٠ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي غَمۡرَةٖ سَاهُونَ ١١ يَسۡـَٔلُونَ أَيَّانَ يَوۡمُ ٱلدِّينِ ١٢ يَوۡمَ هُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ يُفۡتَنُونَ ١٣ ذُوقُواْ فِتۡنَتَكُمۡ هَٰذَا ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تَسۡتَعۡجِلُونَ ١٤ إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٍ ١٥ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَبۡلَ ذَٰلِكَ مُحۡسِنِينَ ١٦ كَانُواْ قَلِيلٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مَا يَهۡجَعُونَ ١٧ وَبِٱلۡأَسۡحَارِ هُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ ١٨ وَفِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ ١٩ **وَفِي ٱلۡأَرۡضِ ءَايَٰتٞ لِّلۡمُوقِنِينَ ٢٠ وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ** ٢١ وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا **تُوعَدُونَ** ٢٢ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ إِنَّهُۥ لَحَقّٞ مِّثۡلَ مَآ أَنَّكُمۡ تَنطِقُونَ ٢٣

(ب)

إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ١٧ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ١٨ وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ١٩ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ ٢٠ وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ٢١ لَّقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ٢٢ وَقَالَ قَرِينُهُ هَٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ ٢٣ **أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ** ٢٤ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ٢٥ **ٱلَّذِي جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ** فَأَلْقِيَاهُ فِي **ٱلْعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ** ٢٦ ۞ قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُ وَلَٰكِن كَانَ فِي ضَلَٰلٍ بَعِيدٍ ٢٧ قَالَ لَا تَخْتَصِمُواْ لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم **بِٱلْوَعِيدِ** ٢٨ مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَآ أَنَا بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ٢٩

(ب)

هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ٢٤ إِذْ دَخَلُواْ عَلَيْهِ فَقَالُواْ سَلَٰمًا قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ٢٥ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ٢٦ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ٢٧ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُواْ لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ٢٨ فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ٢٩ قَالُواْ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ٣٠ ۞ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ٣١ قَالُوٓاْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ٣٢ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ٣٣ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ٣٤ فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٣٥ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ٣٦ **وَتَرَكْنَا فِيهَآ ءَايَةً لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ** ٣٧ وَفِي مُوسَىٰٓ إِذْ أَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ٣٨ فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِۦ وَقَالَ سَٰحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ٣٩ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِي ٱلْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ ٤٠ وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ ٤١ مَا تَذَرُ مِن شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَٱلرَّمِيمِ ٤٢ وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُواْ حَتَّىٰ حِينٍ ٤٣ فَعَتَوْاْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَهُمْ يَنظُرُونَ ٤٤ فَمَا ٱسْتَطَٰعُواْ مِن قِيَامٍ وَمَا كَانُواْ مُنتَصِرِينَ ٤٥ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ٤٦

(أ')	(أ')
يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ٣٠ وَأُزْلِفَتِ **ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ** ٣١ هَٰذَا مَا **تُوعَدُونَ لِكُلِّ** أَوَّابٍ حَفِيظٍ ٣٢ مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ٣٣ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ ٣٤ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ٣٥ **وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا فَنَقَّبُوا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ** ٣٦ **إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ** ٣٧ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ٣٨ فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ ٣٩ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَٰرَ ٱلسُّجُودِ ٤٠ وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ٤١ يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ **يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ** ٤٢ إِنَّا نَحْنُ نُحْىِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ ٤٣ يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ٤٤ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ **فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ٤٥**	وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْىٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ٤٧ وَٱلْأَرْضَ فَرَشْنَٰهَا فَنِعْمَ ٱلْمَٰهِدُونَ ٤٨ وَمِن كُلِّ شَىْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ٤٩ فَفِرُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ٥٠ **وَلَا تَجْعَلُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ** إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ٥١ **كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا۟ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ٥٢** أَتَوَاصَوْا۟ بِهِۦ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ٥٣ **فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٍ ٥٤ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ** ٥٥ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ٥٦ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ٥٧ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ٥٨ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَٰبِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ ٥٩ فَوَيْلٌ **لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟** مِن **يَوْمِهِمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ** ٦٠

جدول (١): الروابط اللغوية والموضوعية بين سورتي ق والذاريات

سورة ق تذكر تعجّب الكافرين من حقيقة البعث والحشر، وتبين علم الله بالسر والخفاء، ثم تجيء بعدها سورة الذاريات تُقسم بالمشاهد المحسوس، وتؤكد على بعثهم وإعادة خلقهم مرة أخرى، ومجيء الحديث عن الأمم الهالكة في الذرايات وكيف خلقهم الله ثم أهلكهم، ثم ذكر خلق السموات والأرض وغيرها، كلها أدلة على تحقق البعث والحساب في الآخرة كما جاء في سورة

ق.[1] ليس هذا فحسب بل إن سورة الذاريات في الجزء (أ') تتحدث عن كون الرسول صلى الله عليه وسلم نذيرًا: "فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ، وَلَا تَجۡعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ" [الذاريات: ٥٠-٥١]، في حين يأتي ذكر القرآن والمنذر في فاتحة ق: "بَلۡ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡ فَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَيۡءٌ عَجِيبٌ" [ق:٢]. والسورتان تذكران أسماء هذا الوعد الحق: "يوم الوعيد"، "يوم الخلود"، "يوم الخروج"، "يوم الدين"، ويتكرر لفظ "الوعد" ومشتقاته كما تتكرر موضوعات خلق السموات والأرض وجزاء المتقين والكافرين في السورتين.

والملائكة التي كانت تحصي أعمال العباد في سورة ق في الجزء (ب) تأتي في سورة الذاريات بالبشرى وبالعذاب في الجزء (ب) كذلك، كذلك وصف عذاب الآخرة في ق بالشديد (الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ) (الآية ٢٦)، وفي الذاريات بالأليم (وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ) (الآية ٣٧) . وموضوع الرزق يأتي في الطرف (أ) من ق والطرفين (أ) و (أ') في الذاريات، لتتأكد قوة الله وقدرته في الخلق والرزق والبعث ثم الحساب والجزاء، ويتجلى موضوع التوحيد وإفراد الله بالعبادة الذي خلق الإنس والجن والسموات والأرض. والأمر بالتذكير بالقرآن والذكرى يتكرر في السورتين في أطرافهما، في حين أن أقوال الكافرين المكذبين بالبعث تسجلها سورة ق، التي تبين كذلك تشكيكهم في صدق النبي صلى الله عليه وسلم، وتأتي سورة الذاريات في الموضوع نفسه وتذكر اتهاماتهم للرسول صلى الله عليه وسلم (كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ) (الآية ٥٢)، الله أعلم بما يقولون كما يعلم وسوسة نفوسهم وأعمالهم، فاصبر وأعرض عنهم:

١أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي، البرهان فى تناسب سور القرآن (تحقيق :محمد شعباني، المغرب: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 1410– ١٩٩٠)، ٣١٥، هامش ٦٥٧.

"فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ وَقَبۡلَ ٱلۡغُرُوبِ" [ق: ٣٩]

"نَّحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَقُولُونَۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِجَبَّارٖۖ فَذَكِّرۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ" [ق: ٤٥]

"فَتَوَلَّ عَنۡهُمۡ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٖ وَذَكِّرۡ فَإِنَّ ٱلذِّكۡرَىٰ تَنفَعُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ" [الذاريات: ٥٤-٥٥]

(٤)التناظر والمزاوجة بين سورتي الطور والنجم

ورد في الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ سورة الطور في المغرب،[١] وجاء أيضًا أنه قرأ سورة النجم فسجد وسجد معه المسلمون والمشركون.[٢] وجاء في سبب نزول سورة النجم أن المشركين زعموا تقوّل الرسول صلى الله عليه وسلم للقرآن.[٣] ، وقيل إن النجم هي أول سورة قرأها النبي صلى الله عليه وسلم على الناس جهرًا.[٤] وفي الصفحات التالية نورد تقسيم السورتين تناظريًا، ثم نزاوج بينهما وفق التقسيم.

تقسيم سورة الطور تناظريًا:

(أ)(الآيات ١-١٦) تحقق وقوع عذاب ربك للمكذبين: القَسَم بالطور والكتاب والبيت والبحر
(ب)(الآيات ١٧-٢٨) البر الرحيم: جزاء المتقين في الآخرة

١"حَدَّثَنَا الحُمَيْدِيُّ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، قَالَ :حَدَّثُونِي عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ، عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ " :سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْرَأُ فِي المَغْرِبِ بِالطُّورِ، فَلَمَّا بَلَغَ هَذِهِ الآيَةَ : أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الخَالِقُونَ، أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بَلْ لاَ يُوقِنُونَ، أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ المُسَيْطِرُونَ " قَالَ: كَادَ قَلْبِي أَنْ يَطِيرَ". أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، باب قوله: "وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب" [ق: ٣٩]، حديث رقم ٤٨٤٥.

٢"حَدَّثَنَا أَبُو مَعْمَرٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الوَارِثِ، حَدَّثَنَا أَيُّوبُ، عَنْ عِكْرِمَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ : سَجَدَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالنَّجْمِ وَسَجَدَ مَعَهُ المُسْلِمُونَ وَالمُشْرِكُونَ وَالجِنُّ وَالإِنْسُ". أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، باب: "فاسجدوا لله واعبدوا" [النجم: ٦٢]، حديث رقم ٤٨٦٢.

٣ابن عاشور، التحرير والتنوير، ١١: ٢٧/ ٨٨.

٤ابن الزبير الغرناطي، البرهان في تناسب سور القرآن، ٣١٨، هامش ٦٧٧. تخريج الحديث: (الراوي : عبد الله بن عباس | المحدث : البخاري | المصدر : صحيح البخاري الصفحة أو الرقم ١٠٧١ | خلاصة حكم المحدث : صحيح).

(أ')(الآيات ٢٩-٤٩) الإنذار بالعذاب مع التذكير والصبر: إثبات الربوبية والألوهية والغيب والوحي

الشكل (٣): التقسيم التناظري لسورة الطور

سورة الطور وفق التقسيم التناظري في الشكل (٣) تتناول في أطرافها (أ) و(أ') موضوع العذاب للكافرين، في حين أن وسطها (ب) يتحدث عن جزاء المتقين ونعيمهم، وإشفاقهم في الدنيا الذي جعلهم ينالون الوقاية من العذاب، هذا الجزء يذكر أنواعًا مختلفة من النعيم للمتقين، يتوسطه زيادة في النعيم والكرامة للمؤمنين بحيث وعدهم بإلحاق ذريتهم بهم، وتتناول الآية ٢١ (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ) موضوع الحساب وعدم النقصان فيه.

الجزء (أ) يبدأ بالقسم بأمور قيل هي كلها في العالم المحسوس (الجبل، الكتاب المسطور، البيت المعمور، السقف المرفوع، البحر المسجور)، وقيل أن بعضها في عالم الغيب (مثل البيت المعمور، البحر المسجور)، منتقلاً لتأكيد العذاب ومشاهد من يوم القيامة، ويتوسط هذا الجزء الويل للمكذبين الذين في خوض يلعبون،[1] ويعود الجزء لتأكيد العذاب ودفعهم إلى النار (الآيات ١٣-١٤) (يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا (١٣) هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ)، وينتهي الجزء بالحديث عن رؤيتهم لهذا العذاب رأي العين لأنهم لم يروا الأدلة المحسوسة على وقوعه وقالوا عن القرآن حين أنذرهم به بأنه سحر.[2] في الجزء النظير (أ') يأتي الحديث عن أمر للنبي صلى الله عليه وسلم بتذكيرهم رغم اتهاماتهم له بالكهانة والجنون والشعر، ثم تأتي عدة استفهامات إنكارية تبدأ بـ "أم" حاملة في طياتها مخاطبة العقل بالأدلة الواضحة على صدق النبوة، وحقيقة التوحيد وقدرة الله وقوته، ليختتم الجزء بذكر ما بدأ به من بيان مكابرة المشركين حتى أنهم لو رأوا كسفًا ساقطًا من السماء كما يطلبون لقالوا بأنه

١هذا الوصف فيه دلالة على الغفلة المذكورة في ق، والسهو المذكور في الذاريات.
٢ابن عاشور، التحرير والتنوير، ١١: ٢٧/ ٤٣.

سحاب مركوم واستمروا في التكذيب.[١] ويجيء أمر للرسول صلى الله عليه وسلم بأن يتركهم حتى يلاقوا أمامهم يوم البعث الحق، وتأتي التوجيهات له بالصبر والتسبيح في وقت النهوض والليل وإدبار النجوم، فالله متفضل عليه بالنبوة التي تستوجب حمده وتنزيهه.[٢]

تقسيم سورة النجم تناظريًا:

(أ) (الآيات ١-١٨) صدق الوحي: القَسَم بالنجم ورؤية الآيات الكبرى في السماء
(ب) (الآيات ١٩-٣٢) نقض الآلهة التي يؤمن بها مَن لا يؤمن بالآخرة
(أ') (الآيات ٣٣-٦٢) الإنذار بالهلاك والبعث والحساب: الخَلق والعودة إلى الله والنذر الأولى

شكل (٤): التقسيم التناظري لسورة النجم

تناسق أجزاء سورة النجم يظهر في التناسب بين الجزأين (أ) و (أ')، حيث يتناول الجزء الأول تأكيد قدوم الوحي من السماء مع الإشارة إلى الآيات الكبرى التي رآها النبي صلى الله عليه وسلم في عالم الغيب، وما في ذلك من مزيد إيضاح للتكريم والنعمة التي سبق الحديث عنها في سورة الطور ورد تهم المشركين المشككين في مصدر الوحي، والابتداء بالقسم بالنجم الذي هوى قد يكون لتأكيد كونها من مخلوقات الله أو إشارة إلى القرآن المنزل الذي يهدي كما تهدي النجوم في السماء، والسورة تذكر في خاتمتها أن الله رب الشعرى،[٣] وكأنها إشارة إلى نفي ما اتهموا به رسولهم من الكهانة. وفي الجزء الأخير تذكر السورة الصحف والنذر الأولى في سياق يؤكد الخلق والربوبية والبعث وتأكيد المنتهى إلى الله للحساب والجزاء الأوفى، ويتخلل هذا الجزء ذكر فريق المؤمنين (موسى وإبراهيم عليهم السلام)، وفريق الهالكين (عاد وثمود وقوم نوح

١المصدر السابق، ١١: ٢٧/ ٧٩.

٢المصدر السابق، ١١: ٢٧/ ٨٣.

٣نجم كانت تعبده خزاعة، وكانوا يسمون الرسول صلى الله عليه وسلم بابن أبي كبشة لأنه كان يدعوهم إلى التوحيد، وكانوا يذكرونه بجده أبي كبشة الذي كان يعبد الشعرى. (انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ١١: ٢٧/ ١٥١).

والمؤتفكة). وذكر صحف إبراهيم وموسى عليهما السلام متناسب مع أول السورة الذي يذكر الوحي النازل على النبي صلى الله عليه وسلم، واتحاد الرسالات السابقة مع القرآن في الدعوة إلى التوحيد وتأكيد حقيقة الحساب في الآخرة. وذكر "آلاء ربك" في نهاية السورة تأكيد لتلك النعم والرعاية الربانية التي وعده بها في سورة الطور.

أما الجزء (ب) فهو يتناول التوحيد الخالص مؤكدًا أن لله الآخرة والأولى، ولله ما في السموات ومافي الأرض، مخبرًا النبي صلى الله عليه وسلم بالإعراض عن المشركين متبعي الظن ومريدي الحياة الدنيا، والله أعلم بمن اهتدى واتقى، وهو واسع المغفرة وأعلم بهم قبل مجيئهم إلى الدنيا، وموضوع الحساب والجزاء يجيء في هذا الجزء، للذين أساءوا كما عملوا، وللذين أحسنوا الحسنى، ويظهر التناسب مع ما جاء في سورة الطور من جزاء المتقين عدم نقصان الثواب، والويل والنار للمكذبين. والجدول التالي يوضح المزاوجة بين نظم السورتين:

سورة الطور	سورة النجم
(أ) وَٱلطُّور ١ وَكِتَٰبٖ مَّسۡطُورٖ ٢ فِي رَقّٖ مَّنشُورٖ ٣ وَٱلۡبَيۡتِ ٱلۡمَعۡمُورِ ٤ وَٱلسَّقۡفِ ٱلۡمَرۡفُوعِ ٥ وَٱلۡبَحۡرِ ٱلۡمَسۡجُورِ ٦ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٞ ٧ مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٖ ٨ يَوۡمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوۡرٗا ٩ وَتَسِيرُ ٱلۡجِبَالُ سَيۡرٗا ١٠ فَوَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ١١ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي خَوۡضٖ يَلۡعَبُونَ ١٢ يَوۡمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعّٗا ١٣ هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ١٤ أَفَسِحۡرٞ هَٰذَآ أَمۡ أَنتُمۡ لَا تُبۡصِرُونَ ١٥ ٱصۡلَوۡهَا فَٱصۡبِرُوٓاْ أَوۡ لَا تَصۡبِرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡكُمۡۖ إِنَّمَا تُجۡزَوۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ١٦	(أ) وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ ٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ٤ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلۡقُوَىٰ ٥ ذُو مِرَّةٖ فَٱسۡتَوَىٰ ٦ وَهُوَ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡأَعۡلَىٰ ٧ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ٨ فَكَانَ قَابَ قَوۡسَيۡنِ أَوۡ أَدۡنَىٰ ٩ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَىٰ عَبۡدِهِۦ مَآ أَوۡحَىٰ ١٠ مَا كَذَبَ ٱلۡفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ١١ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ١٢ وَلَقَدۡ رَءَاهُ نَزۡلَةً أُخۡرَىٰ ١٣ عِندَ سِدۡرَةِ ٱلۡمُنتَهَىٰ ١٤ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلۡمَأۡوَىٰٓ ١٥ إِذۡ يَغۡشَى ٱلسِّدۡرَةَ مَا يَغۡشَىٰ ١٦ مَا زَاغَ ٱلۡبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ١٧ لَقَدۡ رَأَىٰ مِنۡ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلۡكُبۡرَىٰ ١٨

(ب)

إِنَّ **ٱلْمُتَّقِينَ** فِى جَنَّٰتٍ وَنَعِيمٍ ١٧ فَٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ١٨ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ١٩ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ٢٠ **وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ ۚ كُلُّ ٱمْرِئٍۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ** ٢١ وَأَمْدَدْنَٰهُم بِفَٰكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ٢٢ يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ ٢٣ ۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ ٢٤ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ٢٥ قَالُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِىٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ٢٦ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ٢٧ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ **ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ** ٢٨

(ب)

أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ١٩ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ٢٠ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ٢١ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ٢٢ إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ٢٣ أَمْ لِلْإِنسَٰنِ مَا تَمَنَّىٰ ٢٤ فَلِلَّهِ ٱلْءَاخِرَةُ وَٱلْأُولَىٰ ٢٥ ۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ٢٦ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ تَسْمِيَةَ ٱلْأُنثَىٰ ٢٧ وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ ۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ٢٨ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ٢٩ ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ ٣٠ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَسَـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَى ٣١ **ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ ۚ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ ۖ فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ** ٣٢

(أ)	(أ')
فَذَكِّرْ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ٢٩ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ ٣٠ قُلْ تَرَبَّصُوا۟ فَإِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ ٣١ أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَٰمُهُم بِهَٰذَآ أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ٣٢ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ ۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ٣٣ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ ۖ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ٣٤ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ٣٥ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ٣٦ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ ٣٧ أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ ۖ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ٣٨ أَمْ لَهُ ٱلْبَنَٰتُ وَلَكُمُ ٱلْبَنُونَ ٣٩ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ٤٠ أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ٤١ أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هُمُ ٱلْمَكِيدُونَ ٤٢ أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ٤٣ وَإِن يَرَوْا۟ كِسْفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطًا يَقُولُوا۟ سَحَابٌ مَّرْكُومٌ ٤٤ فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى فِيهِ يُصْعَقُونَ ٤٥ يَوْمَ لَا يُغْنِى عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ٤٦ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٤٧ وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ۖ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ٤٨ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَٰرَ **ٱلنُّجُومِ** ٤٩	أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ٣٣ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ٣٤ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ٣٥ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ٣٦ إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ٢٣ أَمْ لِلْإِنسَٰنِ مَا تَمَنَّىٰ ٢٤ فَلِلَّهِ ٱلْءَاخِرَةُ وَٱلْأُولَىٰ ٢٥ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ٢٦ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ تَسْمِيَةَ ٱلْأُنثَىٰ ٢٧ وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ ۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ٢٨ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ٢٩ ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ ٣٠ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَى ٣١ ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ ۚ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ ۖ فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ٣٢ أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى تَوَلَّىٰ ٣٣ وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰٓ ٣٤ أَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ ٣٥ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ ٣٦ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ٣٧ **أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ٣٨ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ٣٩ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ٤٠ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ٤١** وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ٤٢ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ٤٣ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ٤٤ وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ٤٥ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ٤٦ وَأَنَّ عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَىٰ ٤٧ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ ٤٨ وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعْرَىٰ ٤٩ وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ ٥٠ وَثَمُودَا۟ فَمَآ أَبْقَىٰ ٥١ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ ٥٢ وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ ٥٣ فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ ٥٤ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ ٥٥ هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ ٥٦ أَزِفَتِ ٱلْآزِفَةُ ٥٧ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ ٥٨ أَفَمِنْ هَٰذَا **ٱلْحَدِيثِ** تَعْجَبُونَ ٥٩ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ٦٠ وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ ٦١ فَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ وَٱعْبُدُوا۟ ۩ ٦٢

جدول (٢): الروابط اللغوية والموضوعية بين سورتي الطور والنجم

من خلال الجدول السابق (٢) ويمكن ملاحظة مجموعة من الروابط بين السورتين، وكيف تفصّل سورة النجم في الرد على ما جاء في سورة الطور من تشكيك الكافرين في الوحي والبعث، واختتام سورة الطور بجملة "وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا" [الطور: ٤٨]، وقبلها "فَذَكِّرْ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ" [الطور: ٢٩]، وافتتاح النجم بتفصيل تلك الرعاية وتكريمه بحادث

المعراج وتأكيد الوحي يُشير إلى انسجام السورتين وتزاوجهما. والله البر الرحيم وسعت مغفرته عباه المتقين وهو أعلم بتقواهم وإشفاقهم فوقاهم عذاب الجحيم. وفيما يلي بعض الروابط اللغوية والموضوعية بين السورتين:

١- في الجزء (أ) يأتي القسَم بالطور والكتاب المسطور والبحر المسجور فيها إشارات لرسالة موسى عليه السلام وتكذيب قومه،[١] ويأتي ذكر موسى وصحفه في سورة النجم في الجزء (أ٬). ويذكر محمد الطاهر بن عاشور (ت ١٣٩٣/١٩٧٣) المقصود بالكتاب المسطور هو التوراة، وجاء القسم بها ليبين للمشركين أن فيها من حقائق التوحيد والحساب مثلما جاء في القرآن، وأنهما من مصدر واحد ورسالتهما واحدة.[٢]

٢- الجنة في عالم الغيب التي رآها النبي صلى الله عليه وسلم في المعراج (النجم الآيات ١٥) يأتي وصفها وصفات أصحابها في سورة الطور (الآيات ١٧-٢٨). أيضًا الغيب المذكور في طرف سورة الطور الأخير (أ٬): "أَمۡ عِندَهُمُ ٱلۡغَيۡبُ فَهُمۡ يَكۡتُبُونَ" [الطور: ٤١] يأتي حديث عنه عبر فاتحة سورة النجم وما فيها من ذكر الآيات الكبرى في السماء (الجزء أ)، وكذلك في الجزء (أ٬): "أَعِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلۡغَيۡبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ" [النجم: ٣٥].

٣- بيان ربوبية الله وألوهيته في الجزء (أ٬) من الطور ونفي أن يكون له البنات -سبحانه- ولهم البنون، يأتي تفصيله في الجزء (ب) من سورة النجم (الآيات ١٩-٣٢) عبر دحض الآلهة الكاذبة ونفي أن الملائكة بنات الله.

٤- نزول سورة النجم للرد على مزاعم المشركين حول تقوّل الوحي واختلاقه (الجزأين أ و أ٬)، متناسب مع ما جاء في الطور (الجزء أ): "فَذَكِّرۡ فَمَآ أَنتَ بِنِعۡمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٖ وَلَا مَجۡنُونٍ، أَمۡ يَقُولُونَ شَاعِرٞ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيۡبَ ٱلۡمَنُونِ، قُلۡ تَرَبَّصُواْ فَإِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلۡمُتَرَبِّصِينَ، أَمۡ تَأۡمُرُهُمۡ أَحۡلَٰمُهُم بِهَٰذَآ أَمۡ هُمۡ قَوۡمٞ طَاغُونَ ٣٢ أَمۡ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥۚ بَل لَّا يُؤۡمِنُونَ، فَلۡيَأۡتُواْ بِحَدِيثٖ مِّثۡلِهِۦٓ

١ابن عاشور، التحرير والتنوير، ١١: ٢٧/ ٣٧.

٢ المصدر السابق، ١١: ٢٧/ ٣٨-٣٩.

إِن كَانُواْ صَٰدِقِينَ" [الطور: ٣٣-٣٤]، "أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ، وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ، وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ" [النجم: ٥٩-٦١].

٥- سورة الطور التي يتكرر فيها الاستفهام بـ "أم" في الجزء (أ') بسبب افتراء المشركين على النبي صلى الله عليه وسلم وتشكيكهم في صدقه تبين قوة الله وقدرته وألوهيته وربوبيته وحده في كل استفهام، وتُظهر عجز الكافرين ووهن ادعاءاتهم، هذا الموضوع تتناوله سورة النجم بتفصيل عبر الحديث عن مصدر الوحي وقدومه من السماء (الجزء أ)، ودحض الآلهة والأصنام التي سموها وزعمهم لله البنات (الجزء ب)، لتختم السورة بموضوع الحساب في الآخرة والوحي النذير (الجزء أ')؛ لتؤكد ما جاء في سورة الطور من موضوع البعث والعذاب (الجزء أ).[١]

٦- الأمر بالإعراض عنهم متكرر: في الطور الجزء (أ) "فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ" [الطور: ٤٥]، في النجم الجزء (ب) "فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا" [النجم: ٢٩].

٧- الآيات ٣٢-٤٣ من سورة الطور تبدأ بالاستفهام "أم"، وفي المقابل يأتي الأسلوب نفسه في سورة النجم: "أَمْ لِلْإِنسَٰنِ مَا تَمَنَّىٰ، فَلِلَّهِ ٱلْأَخِرَةُ وَٱلْأُولَىٰ" [النجم: ٢٤-٢٥]، والمغزى في السورتين هو بيان العجز التام للمشركين وآلهتهم.

٨- الذرية يأتي ذكرها في الجزء (ب) من سورة الطور: "وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ كُلُّ ٱمْرِئٍۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ" [الطور: ٢١]، والأمهات في الجزء (ب) في النجم: "ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِۚ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْۖ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمْۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ" [النجم: ٣٢]. وكلها في سياق الحساب، ويأتي كذلك ذكر الآباء في سورة النجم (إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى

١ابن الزبير الغرناطي، البرهان فى تناسب سور القرآن، ٣١٨، هامش ٦٧٧.

الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى) (الجزء ب الآية ٢٣) في سياق ذكر مزاعم الكافرين في الآلهة.

٩- موضوع الخلق لإثبات البعث متكرر في الجزء (أ') من السورتين: الطور (أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ (٣٥) أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ) الآيات ٣٥-٣٦، النجم (وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا (٤٤) وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى (٤٥) مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى) الآيات ٤٤-٤٦، بالإضافة إلى ذكر النشأة من الأرض في الجزء ب من سورة النجم (الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى) (الآية ٣٢).

(٥) التناسب اللغوي والموضوعي بين السور الأربعة

بعد أن تبين كيف تتناسب كل سورة مع أختها، ليس فقط من ناحية الموضوعات، بل أيضًا من ناحية المفردات والتعابير، نوضح هنا التناسب بين السور الأربعة عندما توضع متقابلة في مجموعة واحدة. والشكل التالي يبين تناظر هذه السور كمجموعة:

(أ) سورة ق: الغفلة عن الحساب: القرآن تذكرة وما أنت عليهم بجبار
(ب) سورة الذاريات: الوعد صادق
(ب') سورة الطور: العذاب واقع
(أ') سورة النجم: لله الآخرة والأولى: الرسول ما ينطق عن الهوى

شكل (٥): التناظر بين السور الأربعة

يظهر في الشكل السابق (٥) أن وسط هذه المجموعة (الذاريات والطور) يتناول موضوعي الوعد والعذاب، في حين أن أطراف المجموعة (ق والنجم) تتناول الوحي والنبوة في سياق يذكر الغيب وما يحتوي عليه اليوم الآخر من البعث والحساب والجزاء. ويتجلى بوضوح في كل سورة منها حديث عن الله وعظمته وقوته سواء في عالم الشهادة أو عالم الغيب. فهذه السور وإن كانت وحدات منفصلة ومتكاملة لوحدها، فهي مع غيرها متصلة ومتناسقة،

ويزداد جمال آيات القرآن وتذوقه من خلال تدبرها معًا كمجموعة تتناول الموضوعات ذاتها ولكن في سياقات مختلفة ومنسجمة. ويمكن ملاحظة التناسب بين أطراف هذه المجموعة (ق والنجم) وبين وسطها (الذاريات والطور)، ناهيك عن تشابه نظمها وموضوعاتها بشكل عام. فهذه السور الأربعة تشاركت الافتتاح بالقسَم، يذكر الرازي أن القَسَم في القرآن يحدث بالقَسَم بشيء واحد كالقَسَم في سورة النجم، أو بحرف واحد كما في سورة ق، أو بأربعة أشياء مثل: الذاريات، وخمسة مثل: سورة الطور،[1] ويذكر الرازي أن القَسَم بالحروف أفضل وأعلى من القَسَم بالأشياء، وعادة يكون متبوعًا بالحديث عن القرآن.[2] فهذه الملاحظة من الرازي تجعلنا نرى التشابه بين فاتحة ق والنجم حيث حدث القسم بأمر واحد (ق، النجم)، وجاء في أول ق الحديث عن القرآن وفي أول النجم ذكر الوحي إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، أما سورتا الذاريات والطور فيأتي فيهما القَسَم بعدة أمور، وهذا يجعل هاتين السورتين متناظرتين في المجموعة ومتناسقتين من حيث الأسلوب في القَسَم.

ويشرح الرازي أن القَسَم في سورة ق معناه أن القَسَم "بالجبل والقرآن" بقرينة القسم في الطور بالطور (الجبل) والكتاب المسطور (القرآن)، ولكن الرازي يجعل تقدير القسم: "والقرآن المجيد إنك المنذر"، موضحًا أن القسم بالحرف في القرآن يأتي بعدها ذكر القرآن والذي جاء به وليس الحشر، لأن الهدف هو القَسَم بالأدلة على الحشر وهي القرآن والرسول الذي يكفرون به.[3] وهنا أيضًا يظهر التشابه بين أسلوبي ق والنجم، وينسجم الحديث عن القرآن والرسول صلى الله عليه وسلم فيهما، وتكون فاتحة هذه المجموعة هو القَسَم بالقرآن المجيد ثم الحديث عن المنذر في سياق يذكر البعث، ثم تكون فاتحة سورة النجم موضحة صدق هذا الرسول الذي لا ينطق عن الهوى في سياق

١الرازي، التفسير الكبير، ٢٨: ١٢٦.
٢المصدر السابق، ٢٨: ١٢٧.
٣المصدر السابق، ٢٨: ١٢٨-١٢٩.

ينفي شفاعة الآلهة في دفع العذاب، وهناك وجه آخر للتشابه بين فاتحي ق والنجم وهو أنهما تذكران أمورًا لها علاقة بالغيب كالقرآن المجيد وعروج النبي صلى الله عليه وسلم إلى السماء، في حين أن سورتي الذاريات والطور تقسمان بالأمور الدنيوية في سياق يؤكد حقيقة العذاب واليوم الآخر، وكأنهما تجمعان بين عالم الشهادة المرئي للناس، وبين اليوم الآخر والغيب الذي فيه. هذه الأمور التي أقسم بها الله تعالى هي لبيان قوته وعظمته وقدرته، وهدايته وثوابه وعقابه، إن الله هو الرازق ذو القوة المتين، وهو البر الرحيم صاحب النعمة والخزائن، صحيح أن الرسول صلى الله عليه وسلم مخاطب فيهما، ولكن هذا الخطاب يأتي في خواتم السورتين، بينما يأتي ذكر القرآن في فاتحة وخاتمة ق، كما يأتي ذكر الوحي في فاتحة النجم والإشارة إليه بلفظ "الحديث" (أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ) (الآية ٥٩) في ختام النجم، خاتمة النجم تشبه فاتحة ق:

"قٓۚ **وَٱلۡقُرۡءَانِ** ٱلۡمَجِيدِ، بَلۡ **عَجِبُوٓاْ** أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡ فَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا **شَيۡءٌ عَجِيبٌ**، أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗاۖ ذَٰلِكَ رَجۡعُۢ بَعِيدٞ، قَدۡ عَلِمۡنَا مَا تَنقُصُ ٱلۡأَرۡضُ مِنۡهُمۡۖ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظُۢ، بَلۡ كَذَّبُواْ بِٱلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمۡ فَهُمۡ فِيٓ أَمۡرٖ مَّرِيجٍ" [ق: ١-٥].

"هَٰذَا نَذِيرٞ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلۡأُولَىٰٓ، أَزِفَتِ ٱلۡأٓزِفَةُ، لَيۡسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ، أَفَمِنۡ هَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ تَعۡجَبُونَ، وَتَضۡحَكُونَ وَلَا تَبۡكُونَ، وَأَنتُمۡ سَٰمِدُونَ، فَٱسۡجُدُواْ لِلَّهِ وَٱعۡبُدُواْ۩" [النجم: ٥٦-٦٢]

والسياق في الموضعين يتحدث عن اليوم الآخر وتكذيب الكافرين به وتعجبهم من حدوث البعث، هذا الحدث الذي يرونه بعيدًا في سورة ق، تأتي سورة النجم وتذكر اقترابه وحلوله المؤكد الذي لا كاشفة له من دون الله. وموضوع السجود يأتي في خاتمة السورتين حيث تذكران حال المشركين وأقوالهم وتعجبهم من الحديث، ويأتي الأمر بالتسبيح في أدبار السجود للرسول

صلى الله عليه وسلم في سورة ق ليثبت في مواجهة اعتراضهم، ويأتي أمر بالسجود لهؤلاء المشركين ليكفوا عن السمود وإعجابهم بأنفسهم ويخضعوا لله:[1]

"فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ **مَا يَقُولُونَ** وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ وَقَبۡلَ ٱلۡغُرُوبِ، وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡهُ وَأَدۡبَٰرَ ٱلسُّجُودِ" [ق: ٣٩-٤٠]

"أَفَمِنۡ هَٰذَا **ٱلۡحَدِيثِ تَعۡجَبُونَ**، وَتَضۡحَكُونَ وَلَا تَبۡكُونَ، وَأَنتُمۡ سَٰمِدُونَ، فَٱسۡجُدُواْ لِلَّهِ وَٱعۡبُدُواْ۩" [النجم: ٥٩-٦٢]

وهكذا يتكامل موضوع النذارة في المجموعة ويتصل أولها بآخرها عبر الموضوعات نفسها، وأساس هذه النذارة كون الرسول صلى الله عليه وسلم منذرًا (ق)، وجاء بالقرآن المجيد الذي هو أيضًا نذيرٌ كما في الكتب السابقة (النجم)،[2] وهو الحديث الذي يعجبون منه ويضحكون. هذا الإنذار يتناسب مع موضوع التذكير المتكرر في السور ق والذاريات والطور، مما يجعل هذه المجموعة مترابطة من حيث الحديث عن القرآن والإنذار به ومجيء أسلوب الأمر "ذكِّر":

" تَبۡصِرَةً **وَذِكۡرَىٰ** لِكُلِّ عَبۡدٖ مُّنِيبٖ" [ق: ٨]

"نَّحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَقُولُونَۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِجَبَّارٖۖ **فَذَكِّرۡ** بِٱلۡقُرۡءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ" [ق:٤٥]

---

١ السمود فيه معاني التكبر والخيلاء، وقد كانوا يستخفون بالنذير والحديث (إشارة إلى القرآن)، أما بالنسبة للأمر بالسجود للمشركين فيذكر ابن عاشور أن معنى السجود يحتمل: سجود الخشية والخضوع أو سجود الصلاة التي هي شعيرة الإسلام. (انظر: ابن عاشور، ، التحرير والتنوير، ١٠: ٢٧/ ١٦٠-١٦١). وذكر شمس الدين محمد بن أبي بكر ابن القيم الجوزية (ت ٧٥١هـ / ١٣٥٠م) أن "السمود :هو الغفلة والسهو عن الشيء، ... وقال ابن الأنباري: السامد اللاهي" (انظر: يسري السيد محمد، بدائع التفسير الجامع لتفسير الإمام ابن قيم الجوزية (السعودية- الدمام: دار ابن الجوزي، ٥ مجلدات، ١٤١٤-١٩٩٣)، ٤: ٣١١)، وهذا المعنى متناسب مع الغفلة في سورة ق (الآية ٢٢) (لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ).

٢ يذكر ابن عاشور أن اسم الإشارة "هذا" في الآية ٥٦ من سورة النجم (هَذَا نَذِيرٌ مِنَ النُّذُرِ الْأُولَى) قد يعود إلى القرآن الذي يتنزل في الحال أو صحف موسى في الآية ٣٦ (أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى) وكأنها حاضرة أمامهم يسمعونها، واستبعد ابن عاشور أن يكون المقصود بالنذير هو النبي صلى الله عليه وسلم، ولكنه يُشير إلى أن النذير هو القرآن لأنه كلام، ويوضح أن هذا من المجاز العقلي. انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ١١: ٢٧/ ١٥٧-١٥٨.

"وَمِن كُلِّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَا زَوۡجَيۡنِ لَعَلَّكُمۡ **تَذَكَّرُونَ**" [الذاريات: ٤٩]
"فَتَوَلَّ عَنۡهُمۡ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٖ، وَذَكِّرۡ فَإِنَّ ٱلذِّكۡرَىٰ تَنفَعُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ" [الذاريات: ٥٤-٥٥]
"**فَذَكِّرۡ** فَمَآ أَنتَ بِنِعۡمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٖ وَلَا مَجۡنُونٍ، أَمۡ يَقُولُونَ شَاعِرٞ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيۡبَ ٱلۡمَنُونِ، قُلۡ تَرَبَّصُواْ فَإِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلۡمُتَرَبِّصِينَ" [الطور: ٢٩-٣١]
"فَأَعۡرِضۡ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن **ذِكۡرِنَا** وَلَمۡ يُرِدۡ إِلَّا ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا" [النجم: ٢٩].

بالإضافة إلى ذلك فإن موضوع التذكير يأتي في الطرف (أ') في جميع هذه السور وكأنه موضوع رئيس مشترك كما أن الحديث عن الوعد والوعيد متناثر في معظم أجزائها كما أن التوحيد الخالص يتكرر فيها كلها بأساليب متعددة:

"ٱلَّذِي جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَأَلۡقِيَاهُ فِي ٱلۡعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ" [ق: ٢٦]
"فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ، وَلَا تَجۡعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ" [الذاريات: ٥٠-٥١]
"أَمۡ لَهُمۡ إِلَٰهٌ غَيۡرُ ٱللَّهِۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ" [الطور: ٤٣]
"أَفَرَءَيۡتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلۡعُزَّىٰ، وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ، أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلۡأُنثَىٰ، تِلۡكَ إِذٗا قِسۡمَةٞ ضِيزَىٰٓ، إِنۡ هِيَ إِلَّآ أَسۡمَآءٞ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهۡوَى ٱلۡأَنفُسُۖ وَلَقَدۡ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلۡهُدَىٰٓ" [النجم: ١٩-٢٣]

وأيضًا يأتي في سورة ق في الجزء (أ') الأمر للنبي صلى الله عليه وسلم بالصبر (فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ) (الآية ٣٩)، ويقابله في سورة النجم (الجزء ب) الأمر له بالإعراض عن المشركين: "فَأَعۡرِضۡ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكۡرِنَا وَلَمۡ يُرِدۡ إِلَّا ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا" [النجم: ٢٩]. وموضوع الحساب على أعمالهم في الدنيا يتكرر في هذه المجموعة:

"إِذۡ يَتَلَقَّى ٱلۡمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٞ، مَّا يَلۡفِظُ مِن قَوۡلٍ إِلَّا لَدَيۡهِ رَقِيبٌ عَتِيدٞ" [ق: ١٧-١٨]

"وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَمَآ أَلَتۡنَٰهُم مِّنۡ عَمَلِهِم مِّن شَيۡءٖۚ كُلُّ ٱمۡرِيِٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٞ" [الطور: ٢١]

"ٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلۡمَغۡفِرَةِۚ هُوَ أَعۡلَمُ بِكُمۡ إِذۡ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ وَإِذۡ أَنتُمۡ أَجِنَّةٞ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡۖ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ" [النجم: ٣٢]

"أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰ، وَأَن لَّيۡسَ لِلۡإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ، وَأَنَّ سَعۡيَهُۥ سَوۡفَ يُرَىٰ، ثُمَّ يُجۡزَىٰهُ ٱلۡجَزَآءَ ٱلۡأَوۡفَىٰ" [النجم: ٣٨-٤١]

هذا والتقوى فكرة رئيسة في جميع هذه السور، والمتقين جزاؤهم جنات وعيون ونعيم، التقوى ترتبط بالتوحيد والعبادة وتشمل الأعمال الصالحة والإحسان، الله البر الرحيم يجازي الذين أحسنوا بالحسنى، وإليه المصير (إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ) (ق الآية ٤٣) وإليه المنتهى (وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى) (النجم الآية ٤٢). هذا من ناحية ترابط المجموعة من أولها لآخرها، وتناسب الأطراف وانسجامها حتى مع وسط سور المجموعة. الآن ننتقل لبيان التناسب بين الذاريات والطور، لأنه لا يمكن حصره في تناسب الفاتحة مع خاتمة ما قبلها، لأن سورة الطور تفصل وتؤكد ما جاء في الذاريات من الوعيد والبعث، كما أنها تذكر القسَم بأمور متممة لما سبق القسَم به في الذاريات، وكلها فيها دلالات على قوة الله وعظمته وحلول وعده ووعيده دون مانع.[١]

وهناك العديد من الروابط بين السورتين، وما يلي هو على سبيل التمثيل:

١- جواب القسم في السورتين متناسب: "إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ، وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ" [الذاريات: ٥-٦]، "إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ، مَّا لَهُ مِن دَافِعٍ" [الطور: ٧-٨].

١ ابن الزبير الغرناطي، البرهان فى تناسب سور القرآن، ٣١٧، هامش ٦٧٠.

٢- القسم بالحاملات في الجزء (أ): "فَٱلۡحَٰمِلَٰتِ وِقۡرٗا" [الذاريات: ٢] يرتبط بذكر السحاب المركوم في الجزء (أ') في الطور: "وَإِن يَرَوۡاْ كِسۡفٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطٗا يَقُولُواْ سَحَابٞ مَّرۡكُومٞ" [الطور: ٤٤].[١]

٣- القسَم الخامس في سورة الذاريات كان بالسماء ذات الحبك (وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ) (الآية ٧)، وهو متناسب مع القسَم بالسقف المرفوع في سورة الطور (وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ) (الآية ٥). وهذا يجعل معنى السقف هو السماء كما فسره المفسرون،[٢] بالإضافة إلى أن سورة الطور تذكر بعد ذلك تغير حال السماء يوم القيامة (يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا) (الآية ٩).

٤- لفظ "بيت" يأتي في السورتين، ففي وسط سورة الذاريات تأتي النجاة لبيت من المسلمين حين نزل العذاب على قوم لوط عليه السلام (فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ) (الآية ٣٦)، وهو إشارة إلى لوط وأهله، أما في سورة الطور فيأتي القسَم بالبيت المعمور. ويرجح ابن عاشور أن البيت المعمور ليس هو البيت الذي في السماء،[٣] وربما المقصود به هو ما ذكره إصلاحي من الرمز للأرض وأهلها أو بيت على الأرض معمور بالإيمان. والبحر المسجور فيه إشارة إلى غرق فرعون وجنوده المذكور في وسط الذاريات (وَفِي مُوسَى إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَى فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ (٣٨) فَتَوَلَّى بِرُكْنِهِ وَقَالَ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ (٣٩) فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ) (الآيات ٣٨-٤٠).

١ذكر الفراهي أن القسم في الذاريات بالأمور الأربعة كله عائد على الشيء نفسه وهي الرياح، وأن الوقر معناه الحمل، فالرياح تحمل السحاب الثقال. (انظر: الفراهي، تفسير نظام القرآن، ١٢٢). والسحاب المركوم أي الممطر لأن المركوم والركام تعود على "المجموع بعضه فوق بعض" (ابن عاشور، التحرير والتنوير، ١١: ٢٧/ ٧٩).

٢ابن عاشور، التحرير والتنوير، ١١: ٢٧/ ٣٩.

٣المصدر السابق، ١١: ٢٧/ ٣٩.

٥- الويل والعذاب في سورة الذاريات (الجزء أ) وفي آخرها (الجزء أ'): "قُتِلَ ٱلۡخَرَّٰصُونَ، ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي غَمۡرَةٖ سَاهُونَ، يَسۡـَٔلُونَ أَيَّانَ يَوۡمُ ٱلدِّينِ، يَوۡمَ هُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ يُفۡتَنُونَ، ذُوقُواْ فِتۡنَتَكُمۡ هَٰذَا ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تَسۡتَعۡجِلُونَ" [الذاريات: ١٠-١٤]، "فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذَنُوبٗا مِّثۡلَ ذَنُوبِ أَصۡحَٰبِهِمۡ فَلَا يَسۡتَعۡجِلُونِ، فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن يَوۡمِهِمُ ٱلَّذِي يُوعَدُونَ" [الذاريات: ٥٩-٦٠]، يُعاد ذكره في سورة الطور في أطرافها (أ، أ') مع تشابه في الألفاظ:"فَوَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ، ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي خَوۡضٖ يَلۡعَبُونَ، يَوۡمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعّٗا، هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ" [الطور: ١١-١٤]، "وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ عَذَابٗا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ" [الطور: ٤٧].[1] ويكن ملاحظة كيف تزيد سورة الطور في ذكر صفات الكافرين وعذابهم على ما جاء في سورة الذاريات من وعد بالعذاب مما يؤكد تلاحمهما.

٦- سورة الذاريات تخبر عن المؤمنين وصفاتهم التي استحقوا بها جنات وعيون (الآيات ١٥-١٩) في الجزء (أ)، في المقابل سورة الطور في وسطها (الجزء ب) تذكر جزاء المتقين جنات ونعيم (الآيات ١٧-٢٨)، الآيات في السورتين متشابهة لفظيًا كذلك: "**إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي** جَنَّٰتٖ وَعُيُونٍ ١٥ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَبۡلَ ذَٰلِكَ مُحۡسِنِينَ" [الذاريات: ١٥-١٦]، "**إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي** جَنَّٰتٖ وَنَعِيمٖ، فَٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡ وَوَقَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ" [الطور: ١٧-١٨]. وهنا يتبين جمال تعبير سورة الذاريات بأن المؤمنين كانوا محسنين في الدنيا فوعدوا بالجنات لأن السورة مليئة بالوعد، في حين أن سورة الطور تركز على العذاب، فجاء التعبير بالوقاية من عذاب الجحيم.

٧- الاتهامات للرسل من قبل وللنبي عليهم الصلاة والسلام مذكورة في السورتين: "كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ

[1] ابن الزبير الغرناطي، البرهان فى تناسب سور القرآن، ٣١٧.

أَوۡ مَجۡنُونٌ" [الذاريات: ٥٢]، "فَذَكِّرۡ فَمَآ أَنتَ بِنِعۡمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٖ وَلَا مَجۡنُونٍ، أَمۡ يَقُولُونَ شَاعِرٞ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيۡبَ ٱلۡمَنُونِ" [الطور: ٢٩-٣٠]. فهنا في سورة الطور تتوسع فكرة الرزق التي جاءت في الذاريات، سورة الطور تذكر "نعمت ربك" و"فإنك بأعيننا"، وفيها إشارات إلى أن القرآن نعمة الله التي نزلت على رسوله عليه السلام، ونعمته عليه ورعايته بأنه بريء من افتراءاتهم.

٨- يأتي لفظ "حديث" في وسط سورة الذاريات: "هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيۡفِ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ" [الذاريات: ٢٤]، ومجيء هذا اللفظ دلالة على عظم الخبر،[١] وهذا متناسب مع إطلاق لفظ "حديث على القرآن كما تشير إليه سورة الطور: "أَمۡ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥۚ بَل لَّا يُؤۡمِنُونَ، فَلۡيَأۡتُواْ بِحَدِيثٖ مِّثۡلِهِۦٓ إِن كَانُواْ صَٰدِقِينَ" [الطور: ٣٣-٣٤].

١ ابن عاشور، ، التحرير والتنوير، ١٠: ٢٦/ ٣٥٧.

خاتمة:

السور الأربعة في هذه الدراسة يظهر أنها تتشارك أبعد من التناسب بين الفواتح والخواتم، وأن بعض المتقدمين وكذلك المتأخرين قد لاحظوا الروابط الموضوعية واللغوية بين هذه السور. هذه الدراسة أوضحت أن هذه السور كمجموعة متشابهة في النظم والموضوعات، وذلك يوسع المعاني ويربطها بمثلها في السور الأخرى في المجموعة، وأيضًا يبين جمال هذه السور في وحدتها أو كوحدات منفصلة متكاملة وفي اتصال كل واحدة بما قبلها وبعدها. وهذا التناسب للسور المتسلسلة في ترتيب المصحف رغم اختلاف زمن نزول كل سورة، ويبين بعضًا من حكمة وضع كل سورة في موضعها، ويشرح الرسالة الكبرى التي تحملها آيات تلك السور مجموعةً.

وهذه السور تخاطب المشركين في ذلك الزمان، مع تعدد الخطاب وتجدد أساليبه في الموضوع الواحد، وكيف تجيء السورة التالية بانية على ما سبق وشارحة ومفصلة أو متممة. لقد ظهر في هذه السور مجتمعة تعدد أقوال الكافرين وعنادهم أمام رسائل الإسلام الأصولية حول البعث والوحي والنبوة، أحوال هؤلاء الكافرين استلزمت تكرار الرسالة في سياقات مختلفة، وعندما توضع هذه السياقات مع أخواتها تظهر مكملة لبعضها ومتناسقة منسجمة. فمن ناحية أخرى فإن هذه السور تخاطب النبي صلى الله عليه وسلم المنزل عليه الوحي، وتوجهه إلى كيفية التعامل مع كبر المشركين وتكذيبهم، فهذه المجموعة لا تأمر الرسول صلى الله عليه وسلم فقط بالتذكير، بل كذلك تأتي الأوامر بالصبر والتسبيح بحمد ربه: "فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ وَقَبۡلَ ٱلۡغُرُوبِ، وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡهُ وَأَدۡبَٰرَ ٱلسُّجُودِ" [ق: ٣٩-٤٠]، "وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَاۖ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ، وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡهُ وَإِدۡبَٰرَ ٱلنُّجُومِ" [الطور: ٤٨-٤٩]. فالذكرى في هذه السور لا تنفع سوى المؤمنين الذين أخذوا هذا الإيمان كله بما يتضمنه من إفراد الله بالعبادة وتعظيمه والإيمان بحقيقة اللقاء والحساب والجزاء يوم القيامة،

فلذا هذه المجموعة تأمر النبي صلى الله عليه وسلم بالإعراض عن المشركين المعرضين، وعدم الالتفات لقولهم المختلف وأمرهم المريج حول حقيقة البعث.

الانتقال في الحديث بين الدنيا والآخرة جاء في أساليب وسياقات بديعة في هذه السور، حين تذكر سورة ق بعد القسم بالقرآن الحشر ومشاهد من الدنيا وخلق السموات والأرض والإنسان، ثم تنقل القارئ عبر سكرات الموت إلى الحلقة الوسطى حيث يحدث اختصام الإنسان وقرينه، ويُعلن عن غفلة الإنسان عما جاءه من الحق وضلاله، وعن عدالة ربه في الحساب، وتُختم السورة بذكر النار والجنة ونجاة المتقين الذين يخشون ربهم "بالغيب"، فالحياة والموت بيده سبحانه خالق السموات والأرض في ستة أيام وما مسه من لغوب، تعود السورة لتنتهي بالحشر وصفات مَن تذكّر بالقرآن وخاف الوعيد. هذا الانتقال بين عالم الشهادة وعالم الغيب يأتي في سورة الذاريات بطريقة مختلفة، تبدأ السورة بالقسَم بالرياح التي لا يرونها ولكن يحسون بها ويرون آثارها،[1] ثم ذكر المتقين ونعيمهم في الآخرة وصفاتهم في الدنيا، ثم الآيات في الأرض والنفس والرزق في السماء وكذلك الوعيد، ويأتي الرزق على هيئة الولد لإبراهيم عليه السلام، والعذاب من السماء أو الأرض أو بالرياح للأقوام المكذبة بالدين، ثم تعود السورة لذكر الخلق وغايته وانتفاع المؤمنين بالذكرى في سياق يتوعد الذين ظلموا بالويل يوم القيامة.

كأختها تبدأ سورة الطور بالقَسم بأمور في الدنيا، متبوعًا بالحديث عن أهوال يوم القيامة وانقلاب عالم الشهادة المنتظم وإعلان مصير المكذبين، وذكر المتقين ونعيمهم حاضر، وهذه المرة تفاصيل النعيم أكثر مما جاء في سورتي ق والذاريات، نعيم لا يمكن أن يشبه أي شيء على الأرض، ورحمة من الله الذي لم يبخسهم أعمالهم، ذلك جزاء الذي خافوا الله وكانوا مشفقين، ثم

١إبراهيم بن عمر البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (تحقيق: عبد الرزاق بن غالب المهدي، بيروت– لبنان: دار الكتب العلمية، ٨ مجلدات، الطبعة الثالثة، ١٤٢٧-٢٠٠٦)، ٧: ٢٦٩.

تمضي السورة لإظهار قوة الله وقدرته وعجز الكافرين وضعفهم وشركهم، لا الخلق من صنعهم ولا الغيب في أيديهم، فدعهم حتى يلاقوا يومهم الذي فيه يصعقون. وأخيرًا سورة النجم تبدأ بداية قوية بذكر عالم الغيب وما ينزل منه من الوحي، وتذهب إلى أبعد مكان في السماء حتى تصل إلى سدرة المنتهى وجنة المأوى، ثم حديث عن أهل الأرض المكذبين الذين اتخذوا آلهة سموها بأنفسهم، وبيان أن الله تعالى له الآخرة والأولى، ثم ذكر الملائكة في السموات ونفي تسمية المشركين لهم بأنهم بنات الله، وهؤلاء المشركين أرادوا "الحياة الدنيا" فقط، ونسوا الجزاء على أعمالهم يوم القيامة، وهو أعلم بكم، يوم كنتم في بطون أمهاتكم قبل خروجكم للدنيا، " وعلم الغيب" يذكر في سياق الحديث عن الذي تولى، أعنده علم الغيب؟ أم لم ينبأ بما في صحف موسى وإبراهيم عليهما السلام؟ وسيُحاسب الإنسان على ما سعى فالمنتهى إلى الله في عالم الغيب، الله الخالق يُبكي ويُضحك، ويغني ويمنع، ويحيي ويميت في هذه الدنيا، والأمم السابقة هلكت، والآزفة أزفت، وهم لا يزالون يعجبون ويضحكون من هذا النذير!

وموضوع "الغيب" في هذه السور لا يبدو أنه ينتهي نقاشه بانتهاء سورة النجم، فتبدأ سورة القمر باقتراب الساعة وتكذيب المشركين وادعاءاتهم ثم هلاك الأمم السابقة، وختام السورة يذكر الساعة وسقر والجنات، وما ذلك إلا امتداد لما جاء في السور قبلها وتيسير القرآن للذكر فهل من مدكر؟ وتدبر السور في مجموعات كما فعل الفراهي وإصلاحي قد يساهم في بيان أساليب القرآن الكريم في الطرح والبلاغة والنظم. وهذه الدراسة وإن كانت قد طبقت نظرية التناظر فإنها لا تعدو أكثر من كونها وسيلة للتدبر وملاحظة الاتصال الموضوعي واللغوي بين السور وتشابه النظم، في حين أن المزاوجة، كما يطبقها إصلاحي تجعل علاقة السورة شارحة أو مفصلة أ مكملة لموضوعات السورة قبلها. وهذه المجموعة يقابلها بالتناظر ما بعدها من السور التي تكوّن مجموعة متصلة نظمًا وموضوعًا، وهي جديرة بالدراسة لمعرفة كيف تتناسب السور المتتابعة وتتعاضد في وحدات أكبر تبين جمال نظم القرآن ووحدته الموضوعية.

المراجع:

أولا: المراجع العربية:

١- ابن الزبير الثقفي الغرناطي، أحمد بن إبراهيم. البرهان فى تناسب سور القرآن. تحقيق :محمد شعباني، المغرب: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ١٤١٠– ١٩٩٠.

٢-أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف. تفسير البحر المحيط. تحقيق وتعليق: عادل عبد الموجود وعلي معوض، بمشاركة: زكريا النوتي وأحمد الجمل، بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية، ٨ مجلدات، ١٤٢٨– ٢٠٠٨.

٣-أبو طير، عائشة راضي محمود. "التفسير المأثور لسورتي (ق والذاريات) والوحدة الموضوعية (دراسة وتحليل)". إشراف: د. غسان هرماس، فلسطين: جامعة الخليل، كلية الدراسات العليا– قسم التفسير، رسالة ماجستير، ١٤٤١–٢٠١٩،

http://dspace.hebron.edu/xmlui/handle/123456789/433، الإطلاع ٦ مارس ٢٠٢١.

٤-الألوسي، شهاب الدين محمود. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني. تحقيق: أبو عبد الرحمن فؤاد بن سراج عبد الغفار، مصر– القاهرة: المكتبة التوقيفية، ١٤ مجلد، ت.د.

٥-ابن عاشور، محمد الطاهر. التحرير والتنوير. تونس: دار سحنون للنشر والتوزيع، ١٣ مجلد، ت. د.

٦-البخاري الجعفي، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه (صحيح البخاري). المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، الطبعة الأولى، ٩ أجزاء، ١٤٢٢.

٧-البقاعي، إبراهيم بن عمر. مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور. تحقيق: عبد السميع محمد أحمد حسنين، السعودية- الرياض: مكتبة المعارف، الطبعة الأولى، ٣ أجزاء، ١٤٠٨-١٩٨٧.

٨-البقاعي، إبراهيم بن عمر. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور. تحقيق: عبد الرزاق بن غالب المهدي، بيروت- لبنان: دار الكتب العلمية، ٨ مجلدات، الطبعة الثالثة، ١٤٢٧-٢٠٠٦.

٩-السيد محمد، يسري. بدائع التفسير الجامع لتفسير الإمام ابن قيم الجوزية. السعودية- الدمام: دار ابن الجوزي، ٥ مجلدات، ١٤١٤-١٩٩٣.

١٠-السيوطي، جلال الدين . الإتقان في علوم القرآن. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ٤ أجزاء، لبنان-بيروت: المكتبة العصرية، ١٤٢٤-٢٠٠٣.

١١-السيوطي، جلال الدين. تناسق الدرر في تناسب السور (تحقيق: عبد الله محمد الدرويش، لبنان- بيروت: عالم الكتب، الطبعة الثانية، ١٤٠٨-١٩٨٧.

١٢-الرازي، فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين. التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب. تخريج: عبد الرزاق غالب المهدي، بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية، ٣٢ جزء، ١٤٢٥-٢٠٠٤.

١٣-الزحيلي، وهبة. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج. سوريا- دمشق: دار الفكر، الطبعة الثانية، ١٧ مجلد، ١٤٢٤-٢٠٠٣.

١٤-الفراهي، عبد الحميد. تفسير نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان. الهند- اعظم كره يو بي : الدائرة الحميدية مدرسة الإصلاح، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨.

ثانيا: المراجع الأجنبية:

15-Archer, George. A Place Between Two Places: The Qur'ānic Barzakh. Piscataway, NJ: Gorgias Press, 2017.

16-Iṣlāḥī, Amīn Aḥsan. Tadabbur-i-Qur'ān (50 Surah Qaf | Tadabbur-i-Qur'an (tadabbur-i-quran.org), Accessed March 3, 2021.

17-_____. Tadabbur-i-Qur'ān. 51 Surah Dhariyat | Tadabbur-i-Qur'an (tadabbur-i-quran.org), Accessed March 3, 2021.

18-_____. Tadabbur-i-Qur'ān. (52 Surah Tur | Tadabbur-i-Qur'an (tadabbur-i-quran.org), Accessed March 3, 2021.

19-_____. Tadabbur-i-Qur'ān. (53 Surah Najm | Tadabbur-i-Qur'an (tadabbur-i-quran.org)), 11. Accessed March 3, 2021.

20-_____. Pondering over the Qur'ān (Tadabbur-e-Qur'ān): Tafsīr of Sūrah al-Fātiḥah and Sūrah al-Baqarah. Translated by Mohammad Saleem Kayani, Kuala Lumpur: Islamic Book Trust, vol.1, 2006.

21-Cuypers, Michel. The Banquet: A Reading of the Fifth Sura of the Qur'an. Miami: Convivium, 2009.

22-_____. The Composition of the Qur'an: Rhetorical Analysis. Translated by Jerry Ryan. New York: Bloomsbury Academic, 2015.

23-Neuwirth, Angelika. Scripture, Poetry and the Making of a Community: Reading the Qur'an as a Literary *Text*. London: Oxford Press, 2014.

ثالثاً :
الحديث وعلومه